قضية فلسطين العربية

تولت وضعها ونشرها

الهيئة العربية العليا

وهي الهيئة الممثلة لعرب فلسطين

مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر

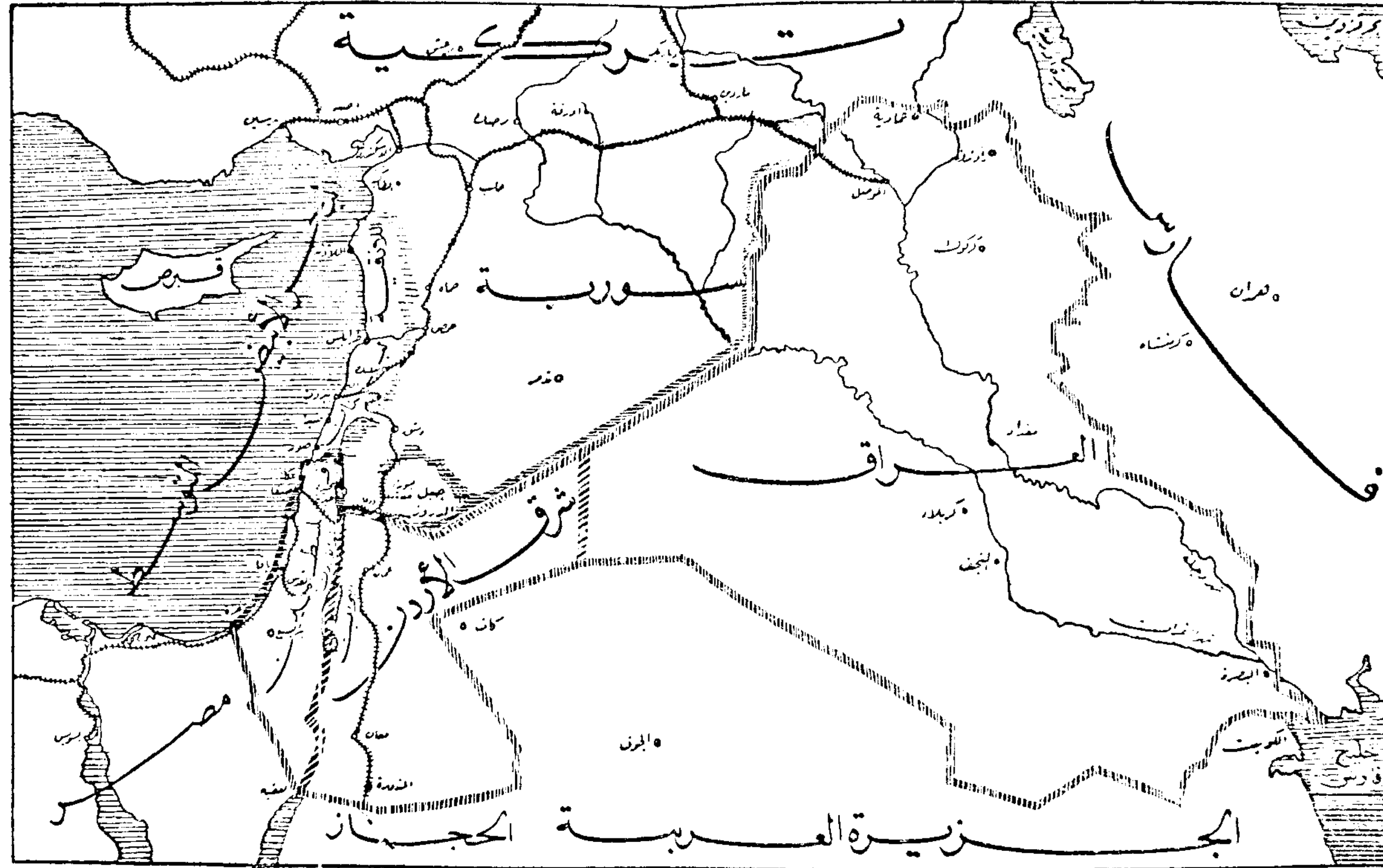
قضية فلسطين العربية

تولت وضعها ونشرها

الهيئة العربية العليا

وهي الهيئة الممثلة لعرب فلسطين

مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر



مناطق الانتداب البريطاني ▥ والفرنسي ▤

في سورية وفلسطين والعراق

١

قضية فلسطين وعروبتها

ليس من قضية طمست حقيقتها الناصعة بالتهويش والدعاية الزائفة كقضية فلسطين ، وليس من قضية بسيطة فى أصلها ثم عقدت تعقيدا اصطناعيا بدافع المطامع الاستعمارية والخيال الشاذ كقضية فلسطين .

إن فلسطين بلاد عربية منذ أربعة عشر قرنا، وقد ظلت الموجات العربية قبل الفتح الاسلامى وبعده تتوالى عليها من آن لآخر وترسخ صبغتها العربية وما زال أثر ذلك بارزا فى أسماء المناطق والقبائل والحمائل والعائلات العربية فى مختلف أنحاء فلسطين .

وهى وسط بلاد عربية منذ ذلك العهـــد القديم ، تكتنفها من شمالها وجنوبها وشرقها(١) وحينما احتلها الحلفاء عامى ١٩١٧-١٩١٨ لم يكن فيها من اليهود إلا نحو (٥٠٫٠٠٠) خمسين ألفا ، أو ٧ ٪ من سكانها ، وكانت البقية عربية مئة فى المائة مسلميهم ومسيحيهم .

٢

جهاد فلسطين فى سبيل الاستقلال قبل الحرب العالمية الاولى

لقد اشتركت فلسطين فى الحركة القومية العربية منذ بدئها فى أوائل القرن التاسع عشر ، ثم اشتركت فيها حينما دخلت فى طور فعال نشيط بعد إعلان

---

(١) أنظر الخريطة

الدستور العثمانى غام ١٩٠٨ حيث كانت تستهدف حفظ الكيان العربى القومى فى الولايات العثمانية واستقلال العرب ، وساهم رجالها وشبابها فى مختلف وجوه النضال فى هذا السبيل ، وتحملوا الاضطهاد التركى الشديد قبيل الحرب العالمية الأولى وفى أثنائها من تقتيل ومحاكات وسجون ومناف وتعذيب الخ .. فى حين كانت تساهم كسائر البلاد العربية فى حكم الدولة العثمانية وبنيانها على قدم المساواة مع الترك فى المناصب العسكرية والمدنية على اختلافها وفى عاصمة الدولة وسائر بلادها وفى فلسطين نفسها وفى البرلمان العثمانى. وإنما كانت الحركة العربية القومية التى اندمجت فيها تستهدف كما قلنا كيانا قوميا مستقلا .

٣

فلسطين جزء من سوريا

ولم تكن فلسطين فى ذلك الوقت وقبله وحدة خاصة ، وإنما كان بعضها أجزاء إدارية من ولاية بيروت (عاصمة لبنان اليوم) وبعضها يعرف باسم لواء القدس ، ولم يكن اسما متداولا ، ولم تكن تعرف به وإنما كانت معروفة بأنها جزء من البلاد الشامية أو السورية ، وليس بينها وبين هذه البلاد لا من ناحية سورية ولا من ناحية لبنان فاصل طبيعى ، والسوريون واللبنانيون والفلسطينيون شعب واحد مشتبكون فى الملكية والأنساب والتجارة والزراعة والصناعة عدا اللحمة الشديدة فى اللغة والعادات والتقاليد والدين والدم والمصالح .

٤

عهود بريطانيا للعرب تشمل فلسطين

وحينما جرت المراسلات بين السلطان حسين (شريف مكة ، ثم ملك الحجاز) وبين السير هنرى مكماهون المندوب السامى البريطانى فى مصر فى سنة ١٩١٥ باقتراحات وتوجيهات الجمعيات العربية السرية، كان رجال فلسطين عنصرا بارزا فيها ، وحينما حدد الملك المشار اليه حدود البلاد العربية وقبلتها انجلترا وتعهدت بالاعتراف باستقلالها ووحدتها ، كانت فلسطين داخلة فى هذه الحدود ، فقد طلب الشريف فى رسالته المؤرخة فى ١٤ يوليو سنة ١٩١٥ من المندوب السامى البريطانى فى مصر .

أن تعترف انجلترا باستقلال البلاد العربية من مرسين ـ أضنه شمالا

ومن بلاد فارس حتى خليج البصرة شرقا ، ومن المحيط الهندى للجزيرة جنوبا (يستثنى من ذلك عدن التى تبقى كما هى) ومن البحر الأحمر والبحر المتوسط حتى سينا غربا . »

وقد جاء فى رسالة المندوب السامى للشريف المؤرخة ٢٥ أكتوبر سنة ١٩١٥ أن مرسين واسكندرونة وبعض الأقسام السورية الواقعة غربى دمشق وحمص وحماه حلب لا يمكن أن يقال عنها إنها عربية محضة ، فيجب أن تستثنى من الحدود التى ذكرتموها ونحن على استعداد للموافقة على تلك الحدود على أساس هذه التعديلات ، أما الأراضى التى تستطيع انجلترا العمل فيها بملء

الحرية ودون أن توقع ضررا بحليفتها فرنسا ، فان لى السلطة التامة باسم حكومة صاحب الجلالة أن أعطيكم التأمينات الآتية .

« ان انجلترا مستعدة على أساس تلك التعديلات أن تعترف باستقلال العرب وتقديم المساعدة لهم فى الحدود التى اقترحها شريف مكة »

ولقد حاولت الحكومة البريطانية مؤخرا أن تكابر فى شمول الحدود المذكورة لفلسطين ، فزعمت أن استثناء المواقع الواقعة غربى دمشق وحماه وحمص وحلب قد عنى فلسطين فى حين أن الواقع أن غربها هو لبنان الذى كان استثناؤه بصدد مدعيات فرنسية كما هو صريح فى المراسلات ، ولقد زعمت أن ولاية دمشق تشمل شرق الأردن وأن فلسطين واقعة غربها فى حين أنه لم يكن إذ ذاك ولاية تدعى ولاية دمشق ، وإنما ولاية سورية ، ولو كان القصد ولاية سورية لما ذكرت حماه وحمص اللتين هما من ولاية سورية

ولقد عرض الخلاف فى هذا الاستثناء على لجنة قانونية رسمية فى لندن برئاسة قاضى القضاه البريطانى عام ١٩٣٩ ، فلم يسعه إلا أن يقول كما جاء فى تقرير اللجنة .

لقد تأثر لورد تشانسلور من بعض البراهين التى قدمت بشأن الجملة المتعلقة باستثناء الأقسام الواقعة غربى مقاطعة دمشق وحمص وحماه وحلب من سورية وهو يعتبر أن وجهة النظر العربية فيما يختص بهذه المسألة قد تبين أن لها قوة أكبر مما كان يظهر سابقا .

ولقد جاء فى مكان آخر فى تقرير اللجنة فى صدد حق الحكومة البريطانية فى إصدار تصريح بلفور وتناقض ذلك مع مراسلات مكماهون ما نصه .

إنه يتراءى للجنة جليا من هذه البيانات أن حكومة جلالته لم تكن حرة التصرف بفلسطين دون احترام رغبات أهلها ومصالحهم ، وأنه يجب أخذ هذه البيانات بعين الاهتمام فى أية محاولة لتقدير المسؤليات المترتبة على حكومة جلالته نحو هؤلاء كنتيجة لأى تفسير لهذه المراسلات .

٥

اشتراك فلسطين فى صفوف الحلفاء فى الحرب العالمية الاولى

وحينما دخل العرب تحت لواء الملك حسين الحرب إلى جانب الحلفاء ضد الدولة العثمانية وحلفائها ، كان شباب فلسطين وضباطها وجنودها يشغلون من صفوفها حيزا غير قليل . وقد استمر هذا طيلة الحرب استجابة لمنشورات الملك حسين التى كانت تلقى على فلسطين . ولقد كانت توجه المنشورات إلى الضباط والجنود العرب فى فلسطين — وقد قدم أحدهما إلى لجنة شوالبرلمانية التى قدمت فلسطين للتحقيق عام ١٩٢٩ ، وكان فيه دعوة صريحة إلى الانضمام إلى جيوشه التى تحارب فى سبيل إنشاء المملكة العربية كما كانت فى عهد الأجداد — وقد شهد بعض الشهود أمام تلك اللجنة أن كثيرا من جنود وضباط العرب فى فلسطين ومن أهل فلسطين بالذات قد لبوا هذا النداء وأمثاله وفروا من الجيش التركى وحاربوا فى صفوف جيوش الحلفاء ، حتى أن أكثر الجنود النظاميين فى الجيش العربى كانوا فلسطينيين : وفى سنة ١٩١٧ جاء وفد من قبل الأمير فيصل بن الشريف حسين (الملك فيصل الأول ملك العراق) وكان يتولى قيادة الجيش العربى الشمالى ، إلى فلسطين برئاسة الشريف حمزة بن عم الأمير فيصل ، للدعوة إلى التطوع ، فسارع كثير من شبان وجنود وضباط

العرب الفلسطينيين إلى الاستجابة إلى هذه الدعوة — وهذا كما جاء فى تقرير لجنة التحقيق العسكرية (١٩٢٠) التى ألفت لتحقيق الإضطرابات التى وقعت فى القدس عام ١٩١٩ . ومما جاء فى هذا التقرير أيضا كوصف لأثر ما كان من الإتفاق بين الشريف حسين والحكومة البريطانية .

« وكانت النتيجة العامة لهذا الاتفاق أن تحول ما كان يشعر به السكان من العطف نحو الأتراك إلى ترحيب بالاحتلال البريطانى ، ولا ريب فى أن هذا الأمر قد شجع فى أثناء الحرب بجميع وسائل الدعاية التى كانت ميسورة لوزارة الحربية ، وحتى شهر حزيران ١٩١٨ . كان تجنيد الجنود قائما فى فلسطين لجيش الشريف حليفنا ، وقد أفهم الذين جندوا بأنهم إنما يحاربون فى سبيل القضية الوطنية وتحرير بلادهم ، وتدل الشهادات التى أديت أمامنا أن التأثير الحقيقى الذى علق بأذهان العرب إجمالا هو أن الحكومة البريطانية ستقوم بتشكيل دولة عربية مستقلة تشمل فلسطين .

وحينما دخل الملك فيصل سورية ، ساهم عدد كبير من رجال فلسطين المدنيين والعسكريين فى توطيد الحكومة العربية التى قامت فيها باسم الحلفاء فى فترة مفاوضات الصلح ، وكانت فلسطين ممثلة رسميا فى المؤتمر السورى العام الذى انقلب فى عام ١٩٢٠ إلى مجلس تأسيسى ونيابى كما كانت ممثلة فى الوزارة السورية التى تأسست عقب إعلان ملكية الأمير فيصل فى ذلك العام .

وهكذا لم يكن يطوف فى أذهان عرب فلسطين وغيرهم أى شك فى أن جهادهم وجهودهم ستكلل بالنجاح وأن أهدافهم القومية من استقلال ووحدة متحققة فى برهة وجيزة .

٦

غدر بريطانيا السرى للعرب

وبينما الأمر كذلك إذ بدا من حلفاء العرب أول غدر سرى حيث تواطأت بريطانيا وفرنسا وروسيا فى مارس سنة ١٩١٦ على تقسيم البلاد العربية الموعود باستقلالها إلى مناطق نفوذ تكون سواحل سورية منها فى نفوذ فرنسا وأقسام من بلاد العراق وسواحل فلسطين فى نفوذ بريطانيا ولا تقوم دولة عربية إلا فى المناطق الداخلية على أن يكون بعضها كذلك فى نفوذ بريطانيا وبعضها فى نفوذ فرنسا ، أما فلسطين فقد تقرر أن توضع هى وأماكنها المقدسة تحت إدارة خاصة على أن يعقد بين روسيا وبريطانيا وفرنسا اتفاق على ذلك يحدد فيه أيضا مناطق نفوذها فيه، ثم اتبع هذا غدر سرى آخر حيث تواطأت فرنسا وبريطانيا على تقسيم سوريا والعراق إلى مناطق نفوذ واستعمار مما يعرف بمعاهدة سايكس بيكو . التى أقرت فى شهر مايو سنة ١٩١٦ . وقد نصت هذه المعاهدة على إنشاء إدارة دولية لفلسطين يعين شكلها بعد استشارة روسيا ، وبالاتفاق مع بقية الحلفاء وممثلى شريف مكة ، ماعدا حيفا وعكا اللتين جعلتا من نصيب الاستعمار البريطانى .

٧

تصريح بلفور ومطامع إنجلترا

ولما رأت بريطانيا أن احتلالها لفلسطين أصبح وشيكا ومضمونا، تحركت فيها مطامعها الاستعمارية فى هذا الأقليم جميعه ، وصممت أن تجد وسيلة ما

إلى انفرادها فى وضع اليد عليه وقد وجدت هذه الوسيلة فى فريق الصهيونيين اليهود الذين كانوا يركضون وراء خيال قومية يهودية ووطن قومى يهودى ودولة يهودية ، فتم الاتصال بينهم ، وكان من نتيجته غدر سرى ثالث بالعرب حيث أرسل المستر بلفور وزير خارجية بريطانيا إلى روتشلد فى تاريخ ٢ تشرين ثانى ١٩١٧ كتابا عرف بتصريح بلفور ، هذا نصه :

« إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين وستبذل جهدنا لتسهيل تحقيق هذه الغاية ، على أن يفهم جليا أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يضير الحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن فى فلسطين ، ولا الحقوق أو الوضع السياسى الذى تتمتع به اليهود فى البلدان الأخرى » .

وبالرغم عن أن نص التصريح يدل على أنه ليس إلا أمنية وتشجيعا ، فان بشاعة الغدر الذى انطوى فيه تبدو بارزة إذا ما لوحظ أن بريطانيا تنكر فيه عروبة فلسطين ، وتنكر أنها داخلة فى عهدها للشريف حسين . وتعتبر أن اليهود هم الأصل بالنسبة لفلسطين وتذكر أهلها بوصف أنهم الطوائف غير اليهودية هذا فضلا عن عدم شرعية هذا التصريح لأن فلسطين لم تكن من أملاك بريطانيا وليس لها حق التصرف فيها كما أن المرسل اليه لم يكن ذا صفة دولية ما .

على أن التصريح قد احتوى بالنسبه لسكان فلسطين تحفظا من شأنه أن يجعله بدون معنى إلا إذا كانت النية مبيته على عدم التمسك به حيث لا يمكن أن يخلو الأمر من ضير وضرر بحقوق السكان بمجرد النية على إحداث حدث جديد بإنشاء وطن قومى لليهود فى بلدهم ، ثم بمجرد فتح باب الهجرة اليهودية وتسهيل امتلاك الأراضى والاستعمار لليهود للقيام بهذه المهمة ، ولا سيما إذا كان هذا بالقوة والارغام .

٨

بواعث تصريح بلفور

ولقد استهدفت بريطانيا بهذا التصريح أن يكون اليهود سنداً لها فى تحقيق مطامعها الاستعمارية فى المجالات الدولية على ما أشرنا إليه ، حيث لم تر وسيلة إلى ذلك غيره ، لأن تحقيق مطامعها مناقض لاتفاقها مع حلفائها ولتعهداتها للعرب ، وقد أصابت الهدف الذى رمت إليه ، فكان لها فعلا فى اليهود سند قوى لتحقيقها ، ولم تبال بما ارتكبته من عار الغدر والنكث والتناقض ، وبما يمثله عملها من معانى الاثم والبغى ، وبما يسببه من نكبات وبلاء وحرمان لعرب فلسطين خاصة ولفلسطين عامة ، حيث حولها إلى بؤرة قلاقل وفتن واضطرابات لم يقتصر مداها على فلسطين ، دون جدوى أو سند من حق ومنطق وواقع .

٩

مزاعم اليهود فى فلسطين وتنفيذها

فالفريق الصهيونى يغذى خياله بما كان لليهود فى فلسطين من كيان سياسى وقومى قبل ألفين وخمسمائة عام ، ويرى أن فلسطين . هى وطن اليهود الذى لهم الحق فى العودة اليه وامتلاكه وأحياء كيانهم السياسى والقومى فيه ، وهو فى هذا مكابر أو متغاب عن حقائق كثيرة تهدم هذه النظرية هدما تاما ، فليس لليهودية اليوم خصائص شعب أو عنصرية ، وإنما هى نحلة دينية ، فهناك يهود انجليز وأمريكان وفرنسيون وألمان وروس . . . إلخ كما أن هناك كاثوليك

وبروتستانت وأرثوذكس وانجليكان انجليز وأمريكان وفرنسيين وروس..إلخ
والدعوى أنهم أحفاد الشعب الاسرائيلى دعوى باطلة بعد أن تشتت اليهود الأولون منذ ألفى سنة فى مختلف أنحاء الأرض وامتزجت دماؤهم وأنسابهم بدماء وأنساب أمم الأرض ، وليس هناك جامعة من لغة أو مصلحة تجمع بينهم كما هو الأمر فى الشعوب الأخرى ، واللغة العبرانية ظلت لغة كتاب دينهم التى تجهلها أكثرية اليهود الساحقة ، وكل أمرها اليوم أنها يحاول احياؤها من جديد صناعيا وسياسيا احياء لايمت إلى سبب قومى وعنصرى واقعى ، وفى فلسطين فحسب ، ومع ذلك فانها مجهولة من كثرة كبيرة من يهود فلسطين وحالة يهود فلسطين ليست فى عمقها إلا حالة جماعات متغايرة فى الدم والعنصر والجنسيات والميول والثقافة واللغة والحياة الاجتماعية حشدت حشداً ، وليس بينها ذلك الانسجام الذى يقوم عادة بين أبناء شعب واحد، وكثير منهم يود أن يعود من حيث أتى لو تيسر له السبب والأمن من ازعاج المنظمة الصهيونية ووسائل ارهابها مما لمسه كثير من المدققين فى حالتهم ، وكما تبين ذلك جليا أمام لجنة التحقيق الانجليزية الأمريكية .

ومن جهة أخرى فاليهود الأقدمون ليسوا سكان فلسطين الأصليين وإنما هم طارئون عليها ولم يملكوا منها إلا جزءاً ولم يدم ملكهم لها إلا أمداً قصيرا ، وأكثر اقامتهم فيها مرت بالفتن والقلاقل والاضطرابات والحروب مع سكان البلاد الأولين الذين ظلت فلسطين مكتظة بهم وظلوا محافظين على لغتهم وعاداتهم ودياناتهم . بل ولقد أثروا تأثيرا كبيرا فى اليهود فى مختلف أدوار إقامتهم فى فلسطين سياسيا واجتماعيا ودينيا كما يعترف تاريخ اليهود أنفسهم بذلك .

وقد غادر اليهود فلسطين منذ ألفى سنة دون أن يتركوا فيها آثارا ، ذات بال دينية أو عمرانية ثم أخذ العرب يقطنون أنحاء كثيرة منها ممتدين من باديتى الشام والبلقاء وبلاد حكومات الغساسنة وتدمر والأنباط (بطرا) ثم كان الفتح العربى الاسلامى الأكبر فى أوائل القرن السابع الميلادى الذى لم يلبث أن توطد به السلطان العربى ، وأن توالت بعده الموجات العربية ، وأن اندمج السكان الأصليون بهم وأن صارت العروبة هى الطابع الوحيد لهذه البلاد

والعرب ليسوا هم الذين طردوا اليهود من فلسطين وحلوا محلهم وامتلكوها منهم، وإنما امتلكوها من البيزانطيين الذين أقروا الفتح بما عقدوه مع خلفاء العرب بعد ذلك من معاهدات وصلات سياسية تجارية . ولم يكن لليهود حين الفتح العربى أى كيان عدا عدد قليل منتشر فى غير مدينة القدس التى اشترط بطريرك النصارى لتسليمها للخليفة العربى الثانى عمر بن الخطاب عدم السماح لليهود بسكناها ، وظل الأمر كذلك طيلة الحكم العربى الاسلامى بحيث لم يسجل التاريخ فيه ـ ومدته أكثر من ثلاثة عشر قرنا ـ وجود أكثر من بضعة آلاف من اليهود كانوا مندمجين فى الدولة ومتمتعين بحمايتها وتسامحها وهكذا انقطعت صلة اليهود بفلسطين كشعب انقطاعا تاما منذ هذه القرون العديدة الضاربة فى أعماق التاريخ ، وقبل الفتح العربى

ويتضح من هذا وهن وسخف دعوى اليهود بأن فلسطين وطنهم وبأن من حقهم العودة إليها والاستيلاء عليها فضلا عن أن هذه الدعوى لا يمكن أن تستقيم أمام أى منطق بصورة عامة حتى ولو كانت الصلة التى تصل شعبا ببلاد غادرها أشد قربا ولحمة ، لأن هذا يعنى انهيار نظام المجتمع الدولى انهيارا مستمرا لما طرأ أو يطرأ من تحولات وتطورات دائمة ونتيجة لأسباب متنوعة

ومهما يكن من أمر فعروبة فلسطين أصح وأصدق وأقدم من صفة بلاد كثير من شعوب الدول القائمة فى الأرض ، واستحالة بحث عودة شعب ما إلى بلد ما كان فيها فى وقت ما أشد بالنسبة لفلسطين واليهود من أى بلاد وشعب ، هذا فضلا عن صحة ما قلناه سابقا من أن اليهودية ليس لها خصائص شعب أو قوم أو عنصر، وإنما ليست أكثر من نحلة دينية يصطبغ أتباعها بصبغة البلاد التى هم فيها قوميا وسياسيا واجتماعيا ولغويا ودما أيضا .

١٠

دعاية اليهود بخُلوّ فلسطين

ومن المعرف أن ذلك الفريق من اليهود إنما دعاه إلى هذه الدعوى وذلك الخيال ، وحمله على السعى فى سبيل الهدف الذى يستهدفه من تجديد كيان اليهود فى فلسطين ، على ما فى دعواه وخياله من تناقض مع طبيعة الأمور والحقائق ، ما رآه اليهود من حقد وضغينة وتجهم فى مختلف بلاد العالم وأممه الأخرى، غير أنه تغابى فى هذا أيضا عن حقائق راهنة منها أن فلسطين ليست بلاداً خالية من السكان أو منعزلة عن العالم أو متأخرة عن مثيلاتها من البلاد العربية التى تساهم الآن بنصيبها فى بنيان نظام العالم وحضارته كما حاول اليهود تصويرها كذلك أفكا وكذبا بمختلف الأساليب حتى استطاعوا أن يخدعوا كثيرا من الناس فى انجلترا وأمريكا وغيرهما منذ السنين الأولى التى أعقبت الاحتلال بل وقبله بكونها بلاد شبه خالية إلا من قبائل بدوية وقرى ومدن بائسة وشعب مسكين ليس له أى نصيب من حضارة وعلم وصناعة ... إلخ ، ففلسطين (أولا) مكتظة بالسكان بنسبة تزيد عن بلاد كثيرة فى أمريكا

وآسيا واستراليا وأفريقيا بل وأوروبا حيث كانت نسبة الكثافة فيها عام ١٩٢١ (٧٥) للميل المربع كما جاء فى تقرير لجنة هايكرافت البريطانية المتشكلة لتحقيق أسباب الاضطرابات التى وقعت فى يافا فى مايو سنة ١٩٢١[1] وقد ارتفعت هذه النسبة الآن إلى (١٧٩) إذا أدخلت فى مساحة فلسطين صحارى بئر السبع القاحلة و (٢٣٦) إذا اخرجت على ما جاء فى تقرير اللجنة الأمريكية الانجليزية استنادا إلى التقديرات الرسمية . وهى (ثانيا) شديدة الصلة بالبلاد والشعوب العربية التى يبلغ عددهم سبعين مليونا وبالشعوب الإسلامية الأخرى التى يبلغ عددهم نحو ثلاثمائة مليون ونيف[2] ، وهى (ثالثاً) فى حياتها ودرجتها الثقافية والاجتماعية والصناعية والزراعية والعمرانية لاتقل عن أى بلد من بلاد الشرق الأوسط والأدنى التى تتمتع باستقلالها وحريتها وتتبوأ مقاعدها فى عداد أمم الأرض المستقلة المتحضرة بل وهى تزيد فى هذه الدرجة عن بعض هذه البلاد . ومنها أن انتقال اليهود من البيئات التى تحقد عليهم وتتجهم لهم إلى فلسطين ليس من شأنه حل مشكلاتهم ، ولأنهم بهدفهم الذى يرمون اليه سيثيرون مشاكل وقلاقل وفتن فى الشرق الأوسط والأدنى ، كما سيبعثون فى شعوبهما ضدهم من الكراهية والتجهم مالم يكن لهذا الشرق عهد به ، وما قد يكون أشد مما هو كائن فى البلاد التى يعيشون فيها الان ، وقد أخذ هذا يبدو ويتسع يوما بعد يوم كما هو بارز لكل عين .

---

(١) مساحة فلسطين هى نحو عشرة الاف ميل مربع وكان سكانها فى بدء الاحتلال أى سنة ١٩١٨ نحو (٧٥٠و٠٠٠) .

(٢) أنظر الخريطة .

هذا فضلا عما فى خيالهم هذا من عدوان على بلاد ليس لها يد فيما أصابهم ولها أهلها وبينها وبين العالمين العربى والإسلامى أشد الصلات وثاقة ولحمة ، فلا يعقل أن يتخلوا لهم عنها لقمة سائغة ، لاسيما وقد ناضلوا فى سبيلها طيلة قرنين كاملين ضد ماسمى بالحملات الصليبية ولم ينوا حتى أنقذوها من غزاتها ، وحفظوا لها صبغتها العربية الاسلامية وتحملوا فى ذلك أعظم التضحيات بكل صبر وإيمان .

١١

الحكومة لاتعبأ بالحقائق

ولكن الحكومة البريطانية لم تكن لتعبأ بكل هذه الحقائق وماتجره متناقضاتها من مشاكل وفتن لأنها إنما كانت ترمى إلى تحقيق أهدافها الاستعمارية لمدة لا تنتهى ، وكانت ترى أن هذا المشروع الخيالى الشاذ ومن ورائه اليهود الأقوياء فى المال والدعاية والمجالات السياسية مما يضمن لها ذلك فأقدمت على تبنيه ، وغدرت بالعرب غدرتها النكراء .

١٢

أثر نشر الوثائق السرية

ولقد حدث عام ١٩١٨ أن نشرت وثائق المعاهدات السرية بين الحلفاء التى أشرنا اليها آنفا وإن شاع تصريح بلفور ، ووصل علم ذلك إلى العرب وإلى الملك حسين ، ولم تكن الحرب قد انتهت بعد ولم تكن سورية وفلسطين

قد احتلت بكاملها ، فثار القلق فى نفوس العرب وكاد يؤثر على موقفهم من الحلفاء ، بل وأخذت تجرى إتصالات بينهم وبين الترك لعقد صلح منفرد وسارع الملك حسين فاستنكر ذلك واحتج عليه لدى الحكومة البريطانية ، فلم يكن من هذه إلا المسارعة إلى إرسال برقية اليه بتاريخ ٨ شباط سنة١٩١٨ من قبل وزارة الخارجية تهدىء من روعه وتجدد له العهد . وتعزو ماسمعه إلى دسائس الأتراك بينه وبين حلفائه وتؤكد له الوفاء بالعهد من قيام المملكة العربية المستقبلة المتفق عليها . كما أن الحكومة البريطانية أرسلت رسولا خاصا إلى الملك حسين هو المستر هوغارث يؤكد معنى هذه البرقية .

١٣

مبادىء ويلسون

ولقد كانت مبادىء الرئيس ويلسون الأربعة عشر التى دعيت ألمانيا وحلفاؤها إلى الاستسلام على أساسها وقبل بها الحلفاء قد أذيعت ، وكان مما احتوته (١) عدم اعتبار أى عهد سرى قبل الصلح (٢) عدم قبول فكرة الفتح والاستيلاء (٣) حق تقرير المصير للشعوب الضعيفة .

١٤

بيان الحلفاء عن حق تقرير المصير

ولقد أذاع القائد العام لجيوش الحلفاء بيانا فى كل ناحية من أنحاء بلاد سورية وفلسطين عقب انسحاب الأتراك ودخول الحلفاء لسورية ولبنان

وفلسطين ، بما فيهم جيوش الأمير فيصل (الملك فيصل) بتاريخ ٨ تشرين الثانى ١٩١٨ ، بهذا النص .

« إن السبب الذى من أجله حاربت فرنسا وانجلترا فى الشرق تلك الحروب التى اهاجتها مطامع الألمان إنما هو لتحرير الشعوب التى رزحت أجيالا طوالا تحت مظالم الترك تحريراً تاماً نهائياً وإقامة حكومات وطنية تستمد سلطانها من اختيار الأهالى الوطنيين لها اختياراً حراً ، وقد اجمعت فرنسا وانجلترا على أن تؤيدا ذلك وتشجعا على إقامة هذه الحكومات الوطنية فى سورية والعراق المنطقتين اللتين أتم الحلفاء تحريرهما وفى الأراضى التى مازالوا يجاهدون فى تحريرها ، وأن تساعدا هذه الهيئات وتعترفا بها عندما تؤسس فعلا ، وليس من غرض لفرنسا وانجلترا أن تنزلا أهالى هذه المناطق إلى الحكم الذى تريدانه ولكن همهما الوحيد أن يتحقق بمعونتهما ومساعدتهما المفيدة عمل هذه الحكومات والادارات التى يختارها الأهلون من ذات أنفسهم ، وأن تضمنا لهم عدلا منزها يساوى بين الجميع ، ويسهل عليهم ترقية الأمور الاقتصادية فى البلاد ، باحياء مواهب الأهالى الوطنيين وتشجيعهم على نشر العلم ووضع حد للخلاف القديم الذى قضت به السياسة التركية تلك هى الأغراض التى ترمى إليها الحكومتان المتحالفتان فى هذه الأقطار المحررة » .

فكان كل هذا مما هدأ القلق فى نفوس العرب وزاد فى طمأنينتهم .

١٥

ميثاق عصبة الامم وفلسطين

وفى سنة ١٩١٩ وضع مشروع ميثاق عصبة الأمم ، وجاء فى مادته الثانية والعشرين مايلى :—

« إن بعض الجماعات التى كانت تابعة فيما مضى للامبراطورية العثمانية قد بلغت مرتبة من الرقى يمكن معها الاعتراف مؤقتاً بكيانها كأمم مستقلة بشرط أن تمد بالمشورة والمعونة الادارية من قبل دولة منتدبة إلى أن تصبح قادرة على حكم ذاتها بذاتها . وينبغى أن يكون لرغائب هذه الجماعات الاعتبار الأول فى اختيار الدولة المنتدبة . أما الشعوب الأخرى وبخاصة شعوب أفريقيا الوسطى فهى فى دور يتحتم معه أن تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن إدارة البلاد فى أحوال تضمن حرية الضمير والدين ... الخ »

وبالرغم مما فى هذا من مغايرة للاتفاق الذى تم بين بريطانيا والملك حسين فى صدد استقلال المملكة العربية فانه أول عهد حقوقى دولى بعد الحرب اعترف به باستقلال بلاد العرب المنسلخة عن الامبراطورية العثمانية ومنها فلسطين ، ووجوب جعل الاعتبار الأول لرغائب أهلها فى اختيار الدولة المنتدبة التى يكون واجبها إسداء المعونة والمشورة حتى تصبح قادرة على حكم نفسها بنفسها ، فكان هذا العهد أيضاً عاملا فى طمأنينة العرب فى فلسطين وغيرها على مصيرهم .

١٦

لجنة الاستفتاء الامريكية وخطورة تقريرها

ثم قرر مجلس الصلح الأعلى فى السنة نفسها إيفاد لجنة استفتاء دولية لتحقيق الأحوال والرغائب فى تلك البلاد ، ولأمر ما اقتصرت اللجنة على البعثة الأمريكية المعروفة ببعثة كينغ - كراين وزارت اللجنة أولا فلسطين ، ثم سائر أقسام سورية ولبنان خلال شهرى حزيران وتموز من عام ١٩١٩ واستمعت إلى مطالب ورغائب أهلها . فرفض أهل هذه الأقاليم الثلاثة وممثلوها - كما جاء فى تقرير اللجنة الذى قدمته إلى الرئيس ويلسون والذى نشر فى عام ١٩٢٤ - الوطن القومى اليهودى والهجرة اليهودية وطلبوا الاستقلال السياسى التام لسورية بما فيها فلسطين التى كانت العرائض والشهادات تذكرها بصفة خاصة وتصفها بأنها جزء لا يتجزأ من سورية ، ومما جاء فى هذا التقرير فى صدد الصهيونية ما نصه :—

« لقد اتضح للجنة أن الشعور العدائى ضد الصهيونية غير قاصر على فلسطين ، بل يشمل سكان سورية بوجه عام ، فان ٧٢ فى المئة من مجموع العرائض فى سورية ضد الصهيونية[1] ، ولم ينل مطلب نسبة أكبر من هذه النسبة غير الوحدة السورية والاستقلال ، وقد أعرب المؤتمر السورى العام عن هذا الشعور العام فى المواد ٧ و ٨ و ١٠ من بيانه ، ولا ينبغى لمؤتمر

(١) ليس قصد تقرير اللجنة أن بقية المئة الـ ٢٨ فى المئة من العرائض مع الصهيونية ، وإنما قصد أن ٧٢ فى المئة من العرائض المتقدمة لها عموما ، ويفهم صراحة من تقرير اللجنة أنه لم يؤيد الصهيونية إلا اليهود تقريبا .

الصلح أن يتجاهل أن الشعور ضد الصهيونية فى فلسطين وسورية بالغ أشده ، وليس من السهل الاستخفاف به . فان جميع الموظفين الانجليز الذين حادثتهم اللجنة يعتقدون أن البرنامج الصهيونى لا يمكن تنفيذه إلا بالقوة المسلحة . ويجب أن لا تقل هذه القوة عن خمسين ألف جندى ، وهذا فى نفسه برهان واضح على ما فى البرنامج الصهيونى من الأجحاف بحقوق غير اليهود . لابد من الجيوش فى بعض الأحيان لتنفيذ القرارات ولكن ليس من المعقول أن تستخدم الجيوش لتنفيذ قرارات جائرة ، هذا فضلا عن أن مطالب الصهيونيين الأساسية فى حقهم فى فلسطين مبنية على كونهم احتلوها منذ ألفى سنة وهذه الدعوى لاتستوجب الاكتراث والاهتمام »

وقد كان قدوم اللجنة مما زاد فى طمأنينة العرب أيضا وتحقيق أملهم كما هو المتبادر .

١٧

فرض نظام الانتداب وفصل فلسطين

لكن من المؤسف أن الأمور لم تسر على وجهها النزيه ، فقد غلبت المطامع الاستعمارية على روح النزاهة والمبادىء السامية التى ظل الحلفاء يشيدون بها أثناء الحرب ، ثم على شرف الوفاء بالعهود المقطوعة المشروعة التى دخل العرب بناءعليها فى الحرب إلى جانب الحلفاء فضربوا بنتائج الاستفتاء ومبادىء حق تقرير المصير وميثاق عصبة الأمم وتلك العهود المقطوعة المشروعة عرض الحائط ، وفرضوا انتدابهم الذى لم يكن إلا استعمارا صريحا على البلاد العربية بقوة الحديد والنار كما فرضوا سياسة الوطن القومى اليهودى على فلسطين وبترها عن سورية .

١٨

شذوذ انتداب فلسطين

ومع أن نصوص صكوك الانتداب على سورية والعراق ولبنان احتوت تطبيقا نوعيا لأهداف الانتداب بحيث يعتبر إرشادا ومعونة مؤقتة إلى أن تصبح قادرة على حكم نفسها ، بنفسها وبحيث أوجبت على الدول المنتدبة العمل لهذا الهدف ، فقد جاء نص صك الانتداب على فلسطين شاذا في هذا الشأن وكان من نتيجة هذا الشذوذ انعدام معنى ومظهر دولة منتدبة ، ودولة منتدب عليها ، وبلاد يراد إرشادها لتصبح قادرة على حكم نفسها بنفسها ، وإيجاب على الدولة المنتدبة العمل لهذا الهدف ، رغم ماجاء في ديباجة هذا الصك من الاشارة إلى أنه تنفيذ للمادة ٢٢ من ميثاق عصبة الأمم كما ترى في هذه الفقرة :-

« ولما كانت دول الحلفاء الرئيسية قد اتفقت تنفيذا لنصوص المادة ٢٢ من عهد جمعية الأمم على أن تعهد إلى دولة منتدبة تختارها الدول المذكورة بادارة شئون فلسطين التي كانت تابعة للسلطنة العثمانية ضمن الحدود التي تعينها الدول المذكورة »

نقول هذا ونقيد مع ذلك أن الحلفاء لم يكونوا نزيهين في تطبيق المادة ٢٢ من عهد جمعية الأمم التي أشاروا اليها في صكوك الانتدابات لأنهم لم يعيروا اهتماما لرغائب الأهالي مما أوجبته تلك المادة بوجه عام ، وبالنسبة لأهل فلسطين بوجه خاص حيث فصلوها عن سورية وفرضوا عليها الوطن القومي ، برغم رغائبهم ورفضهم .

١٩

صك انتداب فلسطين

وقد اندمج في ديباجة صك انتداب فلسطين تصريح بلفور ، وفي هذا بعد ثان عن النزاهة في تطبيق تلك المادة التي ذكرت في مطلعة ، لأن رغائب أكثرية السكان الساحقة كانت ضد هذا التصريح وما يؤدي اليه ، وقد علل اعتراف دول الحلفاء الرئيسية بهذا التصريح بالصلة التاريخية التي تصل الشعب اليهودي بفلسطين ، والبواعث التي تبعث على إعادة إنشاء وطنهم القومي فيها . وفي هذا التعليل اندماج في دعاوي واهية لا تقوم على أي مبدأ من مبادي الحق والمنطق ، ومن شأنها هدم بنيان المجتمع الدولي في كل آن على ما ذكرناه فيما سبق . ولقد صيغت مواد هذا الصك بعد ذلك صياغة متسقة مع مؤدي هذا التصريح ، ومع الخطة التي سلكها الحلفاء في عدم النزاهة في تطبيق المادة (٢٢) من عهد جمعية الأمم ، كما ترى في النصوص التالية :-

المادة الأولى

يكون للدولة المنتدبة السلطة التامة في التشريع والادارة إلا حيث أقيمت لهما حدود في نصوص صك الانتداب هذا .

المادة الثانية

تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن جعل البلاد في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تكفل إنشاء الوطن القومي اليهودي كما جاء في ديباجة

هذا الصك وترقية أنظمة الحكم الذاتى وضمان الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين بقطع النظر عن الأجناس والأديان .

المادة الثالثة

يترتب على الدولة المنتدبة أن تعمل على تشجيع الاستقلال المحلى بقدر ما تسمح به الأحوال .

المادة الرابعة

يعترف بهيئة يهودية صالحة كهيئة عمومية لتشير وتعاون فى إدارة فلسطين فى الشئون الاقتصادية والاجتماعية وغيرذلك مما يؤثر فى إنشاء الوطن القومى اليهودى ومصالح السكان اليهود فى فلسطين ، وتساعد وتشترك فى ترقية البلاد تحت سيطرة حكومتها دائما . ويعترف بأن الجمعية الصهيونية هى هذه الهيئة المنصوص عنها فيما تقدم ما دامت الدولة المنتدبة ترى أن نظامها وتأليفها يجعلانها صالحة لهذا الغرض . وعلى الجمعية الصهيونية أن تتخذ ما يلزم من التدابير بعد استشارة الحكومة البريطانية للحصول على معونة جميع اليهود الذين يبغون المساعدة فى إنشاء الوطن القومى اليهودى .

المادة السادسة

على حكومة فلسطين مع كفالة عدم الحاق الضرر بحقوق ومركز جميع طوائف الأهالى أن تسهل هجرة اليهود إلى فلسطين فى أحوال مناسبة وتنشط بالاتفاق مع الهيئة اليهودية المشار اليها فى المادة (٤) استقرار اليهود فى الأراضى المدورة والأراضى البور غير المطلوبة للاعمال العامة .

المادة السابعة

يتعين على حكومة فلسطين أن تسن قانونا للجنسية يتضمن نصوصا بتسهيل حصول اليهود الذين يتخذون فلسطين مقاما دائما لهم على الرعوية الفلسطينية .

المادة الحادية عشرة

تتخذ حكومة فلسطين جميع التدابير اللازمة لصون مصالح الجمهور فيما له علاقة بترقية البلاد ويكون لها السلطة التامة لتدبير ما يلزم لوضع يد الحكومة وسيطرتها على مورد ما من موارد البلاد الطبيعية أو الأعمال والمصالح والمنافع العمومية الموجودة أو التى ستوجد فيما بعد بشرط مراعاة العهود الدولية التى قبلتها الدولة المنتدبه على نفسها ، وعليها أيضا أن توجد نظاما للاراضى يلائم حاجات البلاد مع مراعاة أمور أخرى منها المنافع التى تنجم عن تشجيع أكثار المهاجرة واستغلال أعظم ما يستطاع من الأرض ، ويجوز لادارة البلاد أن تتفق مع الهيئة اليهودية المذكورة فى المادة الرابعة على أن تجرى أو تستثمر بشرط الانصاف والعدل الأعمال والمصالح والمنافع العمومية ، وترقى مرافق البلاد الطبيعية حيث لا تتولى الحكومة هذه الأمور مباشرة بنفسها ، وإنما يشترط فى هذه الاتفاقات أن الأرباح التى توزعها الهيئة القائمة بالعمل لاتتجاز مباشرة أو غير مباشرة فائدة معتدلة لرأس المال وكل مايزيد على هذه الفائدة يستخدم لما فيه نفع البلاد على الوجه الذى توافق عليه حكومتها .

المادة الثانية والعشرون

تكون الانجليزية والعربية والعبرانية اللغات الرسمية فى فلسطين ، فكل عبارة أو كتابة بالعربية على طوابع أو عملة فى فلسطين تكون بالعبرانية وكل عبارة بالعبرانية تكرر بالعربية .

٢٠

عظم تحيز الصك لليهود

وقد وصف أهل فلسطين العرب بالوصف البشع الذى وصفوا به فى تصريح بلفور (الطوائف غير اليهودية) كأنما الأصل فى البلاد اليهود لا العرب وقد فرض على الدولة المنتدبة لليهود التزامات إيجابية خطيرة فى إنشاء الوطن القومى اليهودى والهجرة اليهودية وجعل للهيئة اليهودية مركز خطير تصبح فيه بمثابة حكومه داخل حكومة ، وفى كل هذا تجاهل ظاهر للعرب أهل البلاد الشرعيين ، وغدر صريح وهدر لحقوقهم ومناقضة لرغائبهم وحرمان أبدى لهم من الاستقلال فى بلادهم وارغامهم بقوة الحديد والنار على قبول ما يكرهونه ويسبب لهم الضرر .

وننبه على أن عبارة حكومة فلسطين الواردة فى مواد الصك لم تكن منذ نشأتها إلى الآن إلا إدارة انجليزية تابعة لوزارة المستعمرات البريطانية فهى لا تشبه ما قام من حكومات سورية ولبنانية وعراقية على أثر صدور صكوك الانتدابات عليها ، ولم يكن لأهل فلسطين أى تمثيل فى التشريع أو الادارة أو المجلس التنفيذى ، وهذا تفسير ماقلناه سابقا من انعدام معنى دولة منتدبة ودولة منتدب عليها بالنسبة لفلسطين

٢١

تحفظ تصريح بلفور وصك الانتداب والاخلال به

ومع أن نصيب تصريح بلفور الذى أورد فى ديباجة صك الانتداب قد احتوى نصا تحفظيا فى صدد عدم الضرر بحقوق ومركز غير اليهود أى العرب ، ومع أن بعض المواد قد حوت مثل هذا التحفظ فان روح المواد وأمارات التآمر الانجليزى اليهودى فى الخطط والتطبيقات التى كان من أهمها أن يكون أول رئيس لادارة وحكومة فلسطين يهوديا ، وهو السير هربرت صموئيل ، وأول مستشار قضائى الذى بيده أمر التشريع يهوديا ، وهو المستر بنتويش ، وأن تملأ دوائر الحكومة ومناصبها باليهود ، وأن تمنح الامتيازات المهمة مثل كهرباء فلسطين واستثمار البحر الميت للشركات اليهودية منذ الخطوات الأولى ، جعل يقين العرب تاما بالاخلال بهذا التحفظ لصالح اليهود وبعدم قيام الحكومة بغير ما عليها من التزامات لهم على رغم العرب وضررهم ، مما حققته الأيام حيث اختلت حقوقهم ومركزهم اختلالا خطيرا فنزلت نسبتهم ـ بسبب الهجرة اليهودية ـ من ٩٣٪ من مجموع السكان إلى ٦٥٪ وزاد عدد اليهود ١٢٪ عما كانوا عليه ، كما بلغت مساحة الأرض التى فى أيديهم والتى كان العرب يزرعونها ويعيشون عليها نحو ٢٢٪ من مجموع أراضى فلسطين الزراعية عامة ونحو ٦٠٪ من أراضيها الزراعية الجيدة بعد أن لم يكن فى يدهم فى بدء الاحتلال إلا نحو ٥٪ من أراضيها الزراعية عامة ، وقد عظمت الطبقة التى أصبحت بدون أرض من العرب واضطربت حياتها ، وقد اندثرت

عشرات القرى [1] والمساجد والمعابد والمقابر العربية ، وقد حمت القوانين التى سنتها الحكومة صناعات اليهود على حساب العرب وغلاء معيشتهم فنمت نموا عظيما كاد يقضى على الصناعات العربية فى فلسطين وغيرها وقد استطاعوا أن يستولوا على زمام التجارة ويتحكموا فى العرب عن طريقها، وقد زاحموا عمال العرب فى مختلف المجالات ، وكانوا سببا فى حرمانهم من كثير من مواردالعيش . كما أن الحكومة سلمتهم وما زالت تسلمهم مساحات واسعة من أراضيها كان وما يزال العرب ينتفعون منها زراعة ورعيا، والتى كانت بمثابة احتياطى لذراريهم ، فكانوا عاملا من هذه الناحية فى تضيق مساحة الأرض العربية ، وبالتالى فى تضييق سبل العيش على العرب حاضرا ومستقبلا .

وقد ازدادت نفقات الحكومة بما احتاجته إلى العدد العظيم من قوى البوليس حفظا للنظام والأمن مما يزيد على نسبة مساحتها وسكانها أضعافا إذا ما قيست بالبلاد المجاورة ، بل وبسائر بلاد العالم ، وبما احتاجته كذلك من الوظائف المتنوعة الأخرى ، فأرهق المكلف العربى على حساب سياسة الوطن القومى كذلك ارهاقا عظيما ، بحيث صار يدفع نحو ثلاثة أو أربعة أضعاف ما يدفعه المكلف العربى فى مصر والعراق وسورية ولبنان ، وقد اكتظت دوائر الحكومة بموظفى اليهود حتى زادت نسبتهم كثيرا على نسبة العرب فيها من حيث العدد والمرتبات — بل وقد استولوا فى كثير من الدوائر على ناصية

(١) مثل قرى المفولة وتل المدس وجالود وصفصافه وجنجار وجيدة وتل الشمام والحارثية والشيخ بريك والمريج يوكنعس وطبعون وجدره وكردانه وكفرته ومجدل وجسر المجامع وشطه وجيانا ودفنا وخان الدوير والمداحل وخيام الوليد ... الخ

الأمور فعرقلوا مصالح العرب ، وحابوا مصالح اليهود على حساب الدولة التى يدفع العرب أكثر نفقاتها . هذا فضلا عما سببته هذه السياسة من ضرر عظيم لهم بحرمانهم من إدارة بلادهم وتشريعاتها ومن الاستقلال والسيادة التى نالها إخوانهم فى البلاد الأخرى والتى هى وحدها التى تكفل لهم التقدم والنمو ثقافيا واقتصاديا واجتماعيا وسياسيا ، ولقد كان ما بدا يجهر به اليهود منذ البدء ثم أخذ يقوى نتيجة لمحاباة الحكومة الانجليزية وتشجيعها مطامعهم الوقحة فى حرم المسجد الأقصى الإسلامى الذى يعتبر مقدساً عند جميع المسلمين وفى الأوقاف الإسلامية مما كان مثار دهشة بعض كبار الانجليز فى بدء الاحتلال ومما كان سبباً فى نشوب ثورة ١٩٢٩ الدامية [1] فصار العرب وقد رأوا ظلمات الماضى والحاضر والمستقبل ومظالمه يتساءلون إلى أين المصير وكيف الخلاص ، ويهتفون ماذا فعلنا مع أصدقائنا الانجليز حتى بغوا علينا هذا البغى وعقدوا مشكلتنا هذا التعقيد . وفتحوا علينا من أبواب الفتن والشر والحرمان

(١) جاء فى رسالة بعث بها السير ل. بولز المدير العام لفلسطين إلى المقر العالى لادارة بلاد العدو المحتله بتاريخ ٧ حزيران ١٩٢٠ ما نصه : —
(وأما الطلب الذى قدمه المستر اوسيشكن نائب رئيس اللجنه الصهيونية وغيره بتأييد الحاخام ابراهيم اسحق كوك ومجلس الربانيين فى الاراضى المقدسة ففيه ادعاء بحائط المبكى باعتبار أنه ملك يهودى وبجميع مكان الهيكل ضمنا اما مكان هذا الهيكل فهو المعروف باسم الحرم الشريف ويشتمل فى داخله على مسجدى الاقصى وقبة الصخرة ويقدسه المسلمون لكونه ثالث الحرمين الشريفين فى العالم :
ويدخل فى هذا الباب ما صدر عن اللورد ملتشت اليهودى فى مقال له حيث جاء فيه «وان اليوم الذى سيعاد فيه بناء الهيكل أضحى قريبا جدا ، وإننى سأكرس بقية حياتى لبناء هيكل عظيم مكان المسجد الاقصى».

ما يهددنا ويهدد ذرارينا بالفناء فى وطننا ، وفرضوا علينا بقوة الحـــديد والنار هذه الخطة الظالمة فى حين أنه لن يكون لهذا أى جدوى لأحد وأنه بلاء على الجميع العرب واليهود والانجليز والسلم العالمى على السواء .

٢٢

صك انتداب فلسطين من وضع اليهود

ومن الفضائح التى سجلها تقرير لجنة التحقيق الملـكية الصادر سنة ١٩٢٧ أن صك الانتداب المذكور لم يكن سوى برنامج وضعه بعض اليهود كما يرى فى هذا النص المنقول عنه : -

« وفى الثالث من شباط سنة ١٩١٩ عرضت الجمعية الصهيونية صورة قرار يتضمن المشروع الذى وضعته لتنفيذ تصريح بلفور ، وحضر زعماء هذه الجمعية أمام المجلس الأعلى فى جلسته المنعقدة فى ٢٧ شباط وشرحوا الموضوع ، ثم وضع المستر فيلـكس فرنـكفورتر ، وهو من الصهيونيين الأمريكيين البارزين مشروعا أكثر تفصيلا من السابق مؤرخا فى ٢٨ آذار ، ومما يتضح من هذه الوثائق ومن الوثائق والقيود الأخرى أن المشروع الصهيونى كان فى ذلك الحين قد اتخذ شكل صك الانتداب الذى نعرفه . »

حيث سجل بذلك الاندماج التام بين الانجليز واليهود فى المؤامرة ضد كيان العرب وحقوقهم وتبييت الغدر بهم فى سبيل الهدف الاستعمارى الذى رمى اليه الأولون والهدف الخيالى الذى رمى إليه الآخرون ، وحيث سجل الخديعة البشعة التى ارتـكبتها بريطانيا وأوحى بها اليهود فى حمل دول عصبة الأمم على إقرار ذلك الصك المشئوم ، وحيث كشف عن علة مجيء

الصك بهذا الأسلوب اليهودى العجيب والفظيع .

٢٣

استنكار جميع العرب ، وميثاقهم القومى لفلسطين

ولقد رأى العرب فى فلسطين وسائر بلاد الشام والعراق أمارات هذه المؤامرة الخائنة منذ الأصل ، فكان إجماعهم تاما على استنكار تصريح بلفور والانتداب والهجرة اليهودية وانتقال الأراضى العربية لليهود ، ورفض ذلك بكل شدة والمطالبة باستقلال فلسطين ضمن الجامعة العربية ، وهو ما غدا ميثاقهم القومى المقدس الذى لا يتزلزلون عنه ، والذى ما فتئوا يجاهدون فى سبيله ، دون كلل ولاملل لأنه حقهم الطبيعى المشروع فى بلادهم والذى قاتلوا الاتراك فى سبيله ثم حاربوا فى صفوف الحلفاء من أجله ، وعقدوا معهم العهد عليه ، وأيدته المبادىء والتصريحات الصادرة من رؤساء الحلفاء ، وسجله ميثاق عصبة الأمم .

٢٤

ادعاءات يهودية

ومما يزعمه اليهود ويسوقه أنصارهم ، وقد أشير إليه فى تقارير بعض اللجان أن اليهود أرقى ثقافة وفنا وصناعة ومستوى من العرب ، وأنهم عمروا فلسطين وكانوا سبب ازدهارها الصناعى والتجارى والعمرانى ، وأن العرب انتفعوا من ذلك ، وأن اليهود يشترون الأراضى من ملاكها بالرضاء وبأسعار عالية .. الخ الخ . ولايسع أى منصف نزيه أن يعير هذه المزاعم أى اعتبار .

فاليهود إنما يأتون كغزاة، ويهدفون الى مكاثرة العرب ومزاحمتهم والسيطرة عليهم فى وطنهم وقد كانوا سبب حرمانهم من استقلالهم وحريتهم وابتلائهم بالبغى ، والقلاقل ، والقلق الدائم، والاضرار الاقتصادية والاجتماعية المتنوعة فكل تلك المزاعم تصبح بدون قيمة تجاه هذه النتيجة .

واغراء الأفراد الملاكمين بأسعار عالية مقابل أراضيهم لا يصح أن يكون مبررا ، لأن الأراضى المملوكة من قبل الأفراد كانت مما يزرعه مزارعوا العرب ويعيشون عليه منذ مئات السنين فانتقالها الى اليهود حرمهم موردهم ، وسبب لهم اضطرابا وتشردا .

والصناعة اليهودية لم تزدهر إلا بالحماية الجمركية العالمية ، وهذا انما كان على حساب العرب لأنه أدى الى غلاء حاجاتهم .

ولقد كان فى فلسطين يهود كما يوجد فى مصر وسورية ولبنان والعراق يهود ، وليس هؤلاء أرقى مستوى أو ثقافة أو فنا أو صناعة من العرب، فتفوق الوافدين على فلسطين إنما هو نتيجة تفاوت الفرص وليس نتيجة تمايز فى الخصائص ، ولا يصح أن يقام له وزن فى مثل هذه الظروف التى يساق فيها.

على أن العرب فى غير فلسطين قد تقدموا أشواطا غير يسيرة فى الثقافة والصناعة والعمران والفنون بقوة نهضتهم الحديثة وحركة الزمن ، وهذا ما كان أيضا بالنسبة لعرب فلسطين الذين لم يكونوا أقل من أولئك فى كل هذا إن لم يكونوا من أحسنهم فيه. فلا يصدق أن يعزى هذا لليهود بطبيعة الحال.

أما الازدهار الصناعى لليهود المشهود ، فهو وهمى واهن الأساس ، فقد كانت الحرب عاملا كبيرا فيه ، وقد انتهت . فبدت علائم انهياره ، وقد أعلن العرب فى فلسطين وسائر الأقطار حرب مقاطعة آخذة بالاشتداد مما يزيد فى قوة انهياره عاجلا أو آجلا ومما أخذت آثاره تلمس لمساً بارزا فى تعطيل كثير من المصانع وإفلاس كثير من الشركات وتزايد عدد العاطلين من العمال اليهود الخ .

٢٥

فصول مأساة فلسطين منذ الاحتلال

ومنذ الاحتلال البريطانى ومأساة فلسطين العربية الدامية تتمثل فصولا ، والانجليز يقومون فيها بدور الظالم المتحيز الغادر ، واليهود بدور الطامع الوقح والولد المدلل ، والمضلل المهوش ، والدســـاس المغرى بمختلف الوسائل ، وحقوق العرب تداس وكيانهم يتزلزل وحرمانهم يستمر ، وصراخهم يدوى ودماؤهم ودموعهم تسيل نتيجة لذلك ، حتى وصل أمر اليهود الى ما وصفناه سابقا فى الفقرة (١٤) من كثرة عدد ونمو صنائع ، وسعة أرض ، وتحكم فى التجارة والمرافق العامة ووظائف الدولة ، وحتى صاروا يجرأون على طلب الدولة اليهودية فى فلسطين ، ويحملون السلاح لينكلوا بأولياء نعمتهم الانجليز تنــكيلا شديداً .

٢٦

التوتر والاضطرابات والتحقيق

ولقد أدرك العرب منذ البدء ما فى هذه المؤامرة من كيد وشر ، فأنشأوا الجمعيات وعقدوا المؤتمرات ، ووالوا الاحتجاجات ، وقاموا بالمظاهرات ، واشتد التوتر والجفاء بينهم وبين الانجليز من جهة ، واليهود من جهة أخرى ، وأخذ الاحتكاك يتسع بينهم كذلك منذ السنوات الأولى ، فكانت اضطرابات القدس الدموية فى عام ١٩٢٠ ، ثم اضطرابات يافا الدموية الخطيرة فى عام

١٩٢١ ، ثم اضطرابات القدس والخليل وصفد وغيرها الواسعة فى عام ١٩٢٩ ثم اضطرابات القدس ويافا وحيفا ونابلس فى عام ١٩٣٣، ثم الاضراب العظيم فى سنة ١٩٣٦ الذى نشأت عنه ثورة لاهبة تكررت عام ١٩٣٧ واستمرت إلى صيف عام ١٩٣٩. هذا عدا اضطرابات ثانوية هنا وهناك لم تكن تنقطع طيلة هذه السنين . وكانت الحكومة البريطانية فى كل اضطراب تشكل لجنة تحقيق لدرس المشكلة ومعالجتها ، متجاهلة أنها هى السبب فى خلق هذه المشكلة وما جرته من آلام واضطرابات ودماء . وكانت كل لجنة تنتهى إلى تقرير كون المسألة والمشكلة هى سياسة الوطن القومى اليهودى ، والحيف العظيم السياسى والاقتصادى والاجتماعى الذى لحق بالعرب منها ، وقد نقلنا نبذة من تقرير لجنة التحقيق العسكرية التى شكلت لدرس اضطرابات القدس سنة ١٩٢٠ ، وقد جاء تقرير لجنة التحقيق التى شكلت لدرس اضطرابات يافا سنة ١٩٢١ ، والمعروفة بلجنة هايكرافت ، والذى قدم إلى مجلس النواب البريطانى بأمر ملك انجلترا ، وثيقة خطيرة جدا حيث أرجع الأسباب إلى مخاوف العرب من خطة الوطن القومى اليهودى وتذمرهم من محاباة الحكومة لليهود وقلقهم من كثره عـــددهم وازدياد قوتهم إلى أن يتغلبوا عليهم ويحكموهم وسخطهم من حرمانهم استقلالهم ، وتوليهم حكم أنفسهم بأنفسهم بسبب هذه الخطة . كما احتوى نماذج من أحوال وأقوال وأفعال تبرر تلك المخاوف والتذمر والسخط صادرة عن اليهود والحكومة على السواء ، مثل قول أحد زعماء اليهود « إن الحل الوحيد لمسألة فلسطين هو إعطاء اليهود كيهود تلك الحقوق والامتيازات فى فلسطين التى تمكنهم من جعلها يهودية كما أن انجلترا إنجليزية وكندا كندية » ومثل وصف فلسطين من قبل صحفهم أنها « مهجورة

مقفرة » ومثل طلب أحدهم « أن يكون لليهود وحدهم الحق بالخدمة العسكرية فى فلسطين دون العرب » ومثل قول الدكتور إيدر نائب رئيس الجمعية الصهيونية « أنه لا يمكن أن يكون فى فلسطين إلا وطن قومى واحد ، هو الوطن القومى اليهودى بدون مساواة فى الاشتراك بين اليهود والعرب بل سيادة اليهود حالما يكون قد زاد عددهم لدرجة كافية » - ويقول التقرير « إن الدكتور لم يقبل بلفظة سيطرة ، بل اختار لفظة (تفوق) » ويقول التقرير كذلك أن الدكتور أعرب « عن حق اليهود وحدهم فى حمل السلاح دون العرب »

ومن استنتاجات اللجنة الواردة فى التقرير :

١) مادام اليهود أقلية لا أهميه لها كما كانوا فى عهد الحكومة التركية، فلا يضايقهم أو يكرههم أحد ، ولكن عند ما بدأ العرب يعتقدون أن اليهود أصبحوا ذوى نفوذ عظيم على الحكومة نشأ شعور فى البلاد ، ولم يحتج إلا إلى تحريش قليل .

٢) إن شعور استياء العرب من اليهود والعداء لهم كان السبب الأساسى فى اضطرابات يافا ، وهذا الاستياء ناشىء عن اسباب سياسية واقتصادية ، وله تعلق بالهجرة اليهودية وبالخطة الصهيونية كما يفسرها اليهود .

٣) لقد تقدم إلينا طوعا أشخاص يمثلون حسب الظاهر كافة فئات الشعب غير اليهود ، وذلك ليشرحوا لنا لماذا ثار الشعور العام ضد اليهود ، وكان هؤلاء الشهود من الاسلام والأرثوذكس واللاتين والموارنة والروم الكاثوليك والانجليكان بما فيه كهنة من الطوائف المسيحية المذكورة فاستنتجنا من ذلك أن كل الشعب غير اليهودى تقريبا كان متحدا فى العداء لليهود، وكان ما قرره العرب أمام اللجنة واستنتجته اللجنة كأسباب للاضطرابات ما يلى :

١) أن الصهيونيين جعلوا حكومة بريطانيا عند استلامها زمام إدارة فلسطين تتخذ خطة موجهة فى الغالب نحو تأسيس وطن قومى لليهود وليس لمنفعة كافة السكان الفلسطينيين على السواء .

٢) أن حكومة فلسطين وفقا لهذه الخطة قد اتخذت كهيئة رسمية لهاجمية صهيونية مرتبطة بأمانيها وإدراكها لواجبها للاهتمام بالمصالح اليهودية قبل غيرها ومؤلفة بموجب امتيازاتها الفريدة حكومة داخل حكومة .

٣) أنه يوجد فى خدمة الحكومة عدد كبير من اليهود تزيد نسبتهم على عدد طائفتهم .

٤) أن قسما من خطة الصهيونيين هو غمر فلسطين بشعب ذى مقدرة فى الأمور الادارية والتجارية أكثر من العرب فينتج عن ذلك تفوقهم على بقية الأهالى .

٥) أن المهاجرين خطر اقتصادى على أهالى فلسطين بسبب مزاحمتهم ولأن المزاحمة تسهل عليهم .

٦) أن اليهود المهاجرين يسيئون للعرب بتعجر فهم وباحتقارهم العادات الاجتماعية العربية .

٧) أنه بالنظر لعدم الاحتياط الكافى سمح للمهاجرين اليهود المشتهرين بالأفكار الهدامة بالدخول الى البلاد ، وأن هؤلاء الأشخاص قد سعوا لاحداث نزاع اجتماعى واضطراب اقتصادى فى فلسطين .

وقد أوصت اللجنة بوجوب عمل مافيه تهدئة لقلق العرب من تحديد لخطة الحكومة يطمئنهم على حقوقهم ومركزهم ومن تخفيف لغلواء اليهود وتصرفاتهم قولا وعملا ، ومن المؤسف أن الحكومة البريطانية لم تهتم للأمر اهتماما يمنع اتساع دائرة الشر والفتنة .

٢٧

الوفد العربى لسنة ١٩٢٢

وبعد قليل من هذه الاضطرابات ، أم لندن وفد عربى يمثل البلاد لرفع الشكوى والمطالبة بحقوق العرب وميثاقهم ، والكف عن الأجحاف بهم ، وظل فى لندن نحو عام (١٩٢١ / ١٩٢٢) اتصل فى خلاله بالحكومة والأوساط البرلمانية والحزبية) وكسب أنصارا عديدين فيها حتى أنه استطاع أن يقنع عددا كبيرا من أعضاء مجلس اللوردات بمشروعية شكواه ومطالبه حيث كررت أكثرية هذا المجلس وجوب إعادة النظر فى سياسة الحكومة .

٢٨

الكتاب الابيض لسنة ١٩٢٢

ولم ترد الحكومة أن تستجيب إلى ذلك ، وكل ما فعلته أن أصدر وزير مستعمراتها المستر ونستون تشرشل باسمها كتابا أبيض عام ١٩٢٢ ، ضمنه مراسلات جرت بينه وبين الوفد العربى الذى طالب بإنشاء حكم وطنى استنادا الى عهود الملك حسين وميثاق عصبة الأمم ، وقد كابر المستر تشرشل فى شمول هذه العهود فلسطين، كما ذكر بصراحة أن إنشاء الحكم الوطنى سيحول دون تنفيذ العهد الذى أعطته الحكومة البريطانية لليهود ـ فسجل بذلك أن سياسة الوطن القومى ستكون مانعا أبديا لنيل العرب استقلالهم وحقهم المشروع فى بلادهم مما جعل الوفد يعود إلى بلاده بدون نتيجة ، واستياء العرب يزداد انتشارا وشدة .

وقد حاول لمستر تشرشل أن يفسر الوطن القومى اليهودى، ومداه وأن يخفف من مخاوف العرب منه . فكان مما جاء فى الكتاب الأبيض المذكور .

«إن حكومة جلالة الملك تلفت النظر إلى الواقع بأن أحكام تصريح بلفور لا ترمى الى تحويل فلسطين برمتها الى وطن قومى لليهود بل إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين ، وتنفيذا لهذه السياسة من الضرورى أن تتمكن الطائفة اليهودية فى فلسطين من زيادة عدد أفرادها بواسطة المهاجرة ، ولا يجوز أن تكون هذه الهجرة كبيرة لدرجة أنها تزيد على مقدرة البلاد الاقتصادية لاستيعاب مهاجرين جدد ، ومن الضرورى ضمان عدم صيرورة المهاجرين عبئاً على أهالى فلسطين كافة وحرمانهم أية طبقة من الأهالى الحاليين من عملهم » .

ثم قال .

« لو سأل سائل عن معنى تنمية الوطن القومى فى فلسطين لأمكن الرد عليه بأنها لاتعنى فرض الجنسية اليهودية على أهالى فلسطين إجمالا ، بل زيادة نمو الطائفة اليهودية بمساعدة اليهود الموجودين فى أنحاء العالم حتى تصبح مركزا يكون فيه للشعب اليهودى برمته اهتمام وفخر من الجهتين الدينية والقومية » ومن رأى الوزير أن التصريح إذا فهم على هذه الصورة لايتضمن أمرا ، ولا ينطوى على شىء يوجب تخوف سكان فلسطين العرب .

غير أن المستر تشرشل لم يفعل شيئا ولم يزل أى غموض عن مدى التصريح ، كما لم يزل شيئا من مخاوف العرب الذين كانوا يرون من خطة الحكومة العملية فى فلسطين ما يبرر هذه المخاوف ويزيد فى رسوخها ، ويسجل عليها مناقضة أقوالها بأفعالها ، ومما سجلته لجنة التحقيق الملكية فى

تقريرها عام ١٩٣٧ يفهم أن المستر تشرشل لم يكن جادا فيما قاله حيث شهد أمامها فقال إنه لم يكن القصد من تفسيره للوطن القومى فى سنة ١٩٢٢ الحيلولة دون إقامة دولة يهودية . وهكذا ظل طابع الخداع والمراوغة يطبع أقوال وأفعال الحكومة البريطانية .

٢٩

محاولات انجلترا فى حمل العرب على الاعتراف بالواقع

ولقد حاولت الحكومة البريطانية أن تخدع العرب لتنزلهم عن حقهم وتحملهم على الاعتراف بالوطن القومى اليهودى ومشاركة اليهود الدخلاء فى وطنهم ؛ فعرضت عليهم عروضا ليس فيها أى ضامن جدى لهم مثل المجلس التشريعى الذى أكثريته من الانجليز واليهود ، والذى ليس له صلاحية ذات بال فى شئون فلسطين المهمة ، ومثل الوكالة العربية التى تجعل العرب على قدم المساواة مع اليهود الدخلاء . فأبوا ولم يروا فى ميثاقهم أن يتعاونوا معها فى مثل هذه العروض الثانوية التافهة .

٣٠

وفد عربى ثان

ولما تبدلت الحكومة البريطانية واستلم العمال الحكم برئاسة المستر رامزى ماكدونالد. ظن العرب أنهم قد يجدون فيها من الرغبة فى الانصاف ما لم يجدوه فى الوزارة السابقة ؛ فأرسلوا وفودهم مرة ثانية إلى لندن ،

ولكنها عادت خائبة بسبب ما كان لليهود من ضغط وتأثير على هذه الحكومة كما كان لهم على سابقتها ؛ وبسبب كون إدارة فلسطين العليا بيد اليهود ؛ وهم الذين تسير الحكومة على آرائهم وتوجيهاتهم .

٣١

اضطرابات عام ١٩٢٩

وظل الاستياء والتوتر يزيدان والاحتجاجات تستمر إلى أن نشبت اضطرابات عام ١٩٢٩ الدامية الواسعة ، التى كان سببها المباشر ما بدا من اليهود من مطامع وجرأة تجاه الحرم الاسلامى الشريف المسجد الاقصى ومكان براق النبى التقليدى فانتخب البرلمان البريطانى لجنة تحقيق برلمانية برئاسة السير وولترشو لتحقق أسباب الاضطراباب وتقترح وسائل المعالجة .

٣٢

لجنة شو وخطورة تقريرها

وزارت اللجنة فلسطين فى ٢٤ تشرين الأول من عام ١٩٢٩ وقضت فيها نحو شهرين فى التحقيق واستماع الشهادات ، وقدمت تقريرها الذى رفع إلى البرلمان فى شهر آذار من عام ١٩٣٠ وقد جاء هو الآخر وثيقة خطيرة حيث سجل أن إعلان اليهود مطامعهم فى مكان البراق الشريف وادعاآتهم فيه ، ومظاهراتهم ونداآتهم وهتافاتهم وأبواقهم المثيرة كانت سببا مباشرا

للاضطرابات غير أن ، تطلبات العرب السياسية والاقتصادية التى أوضحت لنا فى معرض البينة يجب أن تعتبر بأنها أسباب مباشرة لها أيضا ،

وأن الشعور عند العرب بالعداء والبغضاء نحو اليهود قد نشأ عن خيبة أمانيهم السياسية والوطنية وخوفهم على مستقبلهم الاقتصادى .

ثم سجل أن سخط العرب المقترن بالخوف اقترانا خطرا قد يكون سببا لاضطرابات مستقبله .

ومما سجله تقرير لجنة شو أيضا : ـ

(١) إن المطالب التى قدمت من جانب اليهود بشأن مستقبل الهجرة إلى فلسطين كان من شأنها أن تثير مخاوف العرب بأنهم سيحرمون يوما من وسائل معيشتهم ، ويسيطر عليهم اليهود سياسيا . وأن المهاجرين الذين قدموا إلى البلاد كانوا أكثر مما تستطيع البلاد استيعابه ، وأن المراجع اليهودية انحرفت فيما يتعلق بالهجرة انحرافا خطيرا عن المبدأ الذى قبلت به الجمعية الصهيونية ، وأن مخاوف العرب الناشئة عن المهاجرة اليهودية كانت مع أسباب أخرى عاملا ساعد على وقوع الاضطرابات وأن اليهود يأخذون بعين الاعتبار العامل السياسى فى الهجرة مما يدعوا إلى أشد الانتقاد .

(٢) إنه وقع بين سنة ١٩٢١ و ١٩٢٩ بيوع أراض كثيرة أخرج من جرائها عدد كبير من العرب من أراضيهم دون أن تعد لهم أراض أخرى يزرعونها . ولم تجد محاولات الحكومة فى حماية المزارعين ولم تأت القوانين الموضوعة بالغاية المتوخاة ـ وأنه ثبت أن نصوص القانون الموضوع عام ١٩٢١ فى وجوب التثبت من عدم حرمان المزارعين من أرض يزرعونها

لم تطبق إلى سنة ١٩٢٩ مرة واحدة . ولذلك فانه ينشأ فى البلاد طبقة من الأهالى بلا أرض ومستاءة ، وهى خطر كبير على البلاد ، وستبقى مشكلة الأراضى مصدرا دائما للاستياء الحالى وسببا يحتمل أن يفضى إلى الاضطرابات وأن فلسطين لا تستطيع أن تعول عددا من المزارعين يزيد على من فيها الآن إلا إذا تغيرت أساليب الزراعة المتبعة تغييرا أساسيا ، وإذا ثبت أن هذا مستطاع فقد يوجد مكان لعدد من المهاجرين الجدد فى بعض جهات البلاد .

(٣) إن الشعب العربى متحد فى مطالبته بالحكم النيابى ـ وأن حالة الاستياء التى يشعر بها العرب من جراء عجزهم على الدوام عن الحصول على درجة من درجات الحكم الذاتى لمما يزيد مشاكل الحكومة خطورة .

وقد أوصت اللجنة بتهدئة قلق ومخاوف العرب على مستقبلهم بمعالجة مشكلات الأراضى والهجرة خاصة معالجة تزيل أسباب تلك المخاوف وتمنع الهجرة الزائدة وازدياد طبقة المحرومين من الأرض ، وتساعد على حماية المزارعين والعمال العرب ، ومما أوصت به درس هذه المشاكل من قبل خبراء فنيين .

٣٣

وفد عربى ثالث

ولقدأم لندن عقب زيارة لجنة شو وفد عربى ليستأنف الشكوى وليطالب بحقوق العرب المهضومة وازالة الأضرار والأخطار عنهم ، وكانت وزارة

المستر ماكدونالد فى الحكم ، فأخبر الوفد بعزمه على إرسال خبير فنى وأكد له بأنه سيعمل بتواصيه ، وسيضع خطة جديدة من شأنها تهدئة مخاوف العرب ومعالجة مشكلاتهم .

٣٤

تقرير الخبير الاقتصادى وخطورته

وفعلا أرسلت الحكومة خبيرها وهو السير جون سمبسون . فدرس الأحوال فى فلسطين دراسة عميقة وافية وقدم تقريره فى عام ١٩٣٠ .

وقد جاء هذا التقرير وثيقة خطيرة أيضا ، حيث سجل :

(١) أن ثلث الشعب الزراعى العربى فى فلسطين أصبح لايملك أية أرض البتة .

(٢) أنه لو قسمت جميع الأراضى القابلة للزراعة فى فلسطين بين الأهالى والعرب المزارعين لما أصابت كل عائلة منهم مساحة من الأرض تكفى لتأمين معيشتها ، وأن أدنى مساحة تحتاج اليها العائلة العربية الزراعية هى (١٣٠) دونما بينما أن ما بقى للفلاحين هو أقل بكثير من هذا المقدار

(٣) أنه لا يوجد فى فلسطين أية أرض ميسورة يمكن إسكان اليهود فيها

(٤) أن المزارعين العرب يغرر بهم ولا يلقون حماية وافية .

(٥) أن المراجع اليهودية تفرض على مستأجرى أراضيها عدم تشغيل العرب فيها خلافا لما كان يجرى فى السابق . وتقييدهم بقيود شديدة .

(٦) أن المراجع اليهودية تعمد إلى أساليب احتيالية لجلب المهاجرين الى

فلسطين وأن كثيرا من العمال الذين يشترط ضمان معيشتهم لا يلبثون أن يفقدوا وسائلها وأن يصبحوا عبئا على البلاد وسببا لبطالتهم وبطالة العرب معا .

(٧) أن عمال العرب قد حرموا من أشغال كثيرة بسبب مزاحمة العمال اليهود فزاد ذلك فى بؤسهم وضيق معيشتهم .

وقد تضمن التقرير النواحى الرئيسية التالية .

(١) أن يوقف انتقال الأراضى العربية إلى اليهود إلى أن يمكن تغيير أساليب الزراعة تغييرا يساعد على توفير الانتاج إذا كان ذلك مستطاعا.

(٢) أن لا يخرج مزارع عربى من أرض ما لم يضمن له أرض أخرى يزرعها .

(٣) أن لا يسمح بهجرة عمال ما دام يوجد فى فلسطين عمال عاطلون من العرب واليهود.

(٤) أن يراقب تنظيم الهجرة . وأن لا يترك حبلها على غاربها بيد المراجع والنقابات اليهودية .

٣٥

الكتاب الابيض لعام ١٩٣٠

وبناء على تقارير لجنة شو والسير سمبسون ، وضعت الحكومة البريطانية خطة سياسية ونشرتها فى كتاب أبيض عام ١٩٣٠ ، اعترفت فيه بما كان من أخطاء واهمال وما سببه هذا من اجحاف وأكدت عزمها على الاخذ بتواصى

الخبير ولجنة شو فى مسائل الأراضى والهجرة ، وعلى اتخاذ خطوات دستورية لاشراك السكان فى التشريع والادارة . فقامت قيامة المنظمات الصهيونية وضغطوا على الحكومة ضغطا شديدا بمختلف الأساليب حتى اضطروا رئيسها المستر ماكدونالد إلى ارسال كتاب للدكتور وايزمان رئيس اللجنة الصهيونية يفسر ما جاء فى الخطاب الأبيض تفسيرا يكاد يكون نسخا له وتراجعا عنه ، حتى أن العرب سموا كتاب ماكدونالد بالكتاب الأسود ، ورأوا فى الموقف الحقيقة التى طالما عرفوها وهى قوة نفوذ اليهود على الحكومة البريطانية واغراآتهم وبعد مطامعهم ونواياهم المهددة للكيان العربى ، وانسجام الحكومة فى ذلك انسجاما تاما .

٣٦

توسيع باب الهجرة ونمو الخطر اليهودى

ثم لم تلبث الحكومة البريطانية أن وسعت باب الهجرة توسيعا كبيرا ولم تراع أى اعتبار أو توصية مما ورد فى تقارير لجانها وخبرائها ، كما أنها لم تأخذ فى ذلك فى صدد انتقال الأراضى العربية لليهود وحماية مزارعيها حماية ناجعة ، فتدفقت الهجرة تدفقا مخيفا حيث صارت تسجل رقم عشرين الفا فى السنة ثم ثلاثين ثم أربعين ثم ستين ألفا ، حتى دخل فى سنى ٣٢ و ٣٣ و٣٤ و ٣٥ من المهاجرين أكثر من مائتى الف ، فى حين أن معدل ما دخل فى السنوات الأربع عشرة السالفة ١٩١٨ / ١٩٣١ لم يزد على سبعة آلاف سنويا ولم يزد فى مجموعه عن مائة ألف ونيف ، كما أن اليهود استمروا

فى شراء الأراضى ومطاردة المزارعين وتشريدهم على ضيق مساحة الأراضى التى بقيت فى أيدى العرب دون أن يكون من الحكومة عمل ناجح لحماية المزارعين ، وتعاظم عدد طبقة المحرومين من الأرض واشتداد مزاحمة اليهود للعرب فى الساحات الاقتصادية المتنوعة ـ هذا بالاضافة إلى تزايد عدد اليهود فى وظائف الدولة واستيلائهم على أزمتها ، واندفاعهم فى التسلح بمختلف الوسائل وازدياد محاباة الحكومة لهم فى مختلف الشئون، ومقاومتهم ما أرادت الحكومة البريطانية السير فيه من الخطوات الدستورية مقاومة شديدة أدت إلى احباطها مما أفزع العرب أشد الفزع لأنهم رأوا فيه تحققا للخطر الجسيم الذى كانوا يخشونه على كيانهم وتكذيبا لما كان يساق من الانجليز من نعت تخاوف العرب بالغلو ، وعدم اهتمامهم بما لحق العرب من ضيم وظلم ، فقام العرب فى خريف سنة ١٩٣٣ بمظاهرات احتجاجية قابلتها الحكومة بالقمع القاسى وقتلت منهم عشرات الأبرياء .

٣٧

الاضراب العام والثورة

واستمر تدفق الهجرة والمحاباة ، واستمرت المأساة التى لم يعرف لها مثيل فى القسوة والشذوذ والتى استهدفت مكاثرة العرب فى وطنهم الشرعى بجماعات محشودة من مختلف الجنسيات وحلولها محلهم وارهاقهم رغما عنهم ، وبمختلف الأساليب وصور الغدر المتنوعة ، وكلما رفع العرب أصواتهم بالشكوى والاستنكار أخمدتها الحكومة بالحديد والنار والسجون والمشانق والنفى والتشريد ، فلم يكن منهم إلا أن أعلنوا اضرابا عاما ليتمكنوا من إسماع ضمير

الانسانية صوت شكواهم ، وتحريك القلوب المتحجرة بشدة بلواهم فكان اضرابا عاما لم يسبق له مثيل فى التاريخ حيث استمر ستة أشهر كاملة (أبريل ـ أكتوبر سنة ١٩٣٦) عطل فيه نحو مليون عربى أعمالهم ومدارسهم تعطيلا تاما ، وساد التوتر البلاد وأخذت تعقد الاجتماعات وتقوم المظاهرات ، ولم يلبث أن أخذ الاحتكاك يقع بين العرب والسلطات لانجليزية التى هالها الموقف وفشلت فى التغلب عليه بما اعتادته من أساليب الخداع والتحذير ، وانقلب الاحتكاك إلى ثورة لاهبة اشترك فيها الشعب العربى بمختلف الصور فى المدن والقرى والجبال ، وساهم فيها مجاهدون من سائر البلاد العربية الأخرى من سوريين ولبنانيين وعراقيين وأردنيين ومصريين وغيرهم . فقررت الحكومة البريطانية إرسال لجنة تحقيق ملكية حيث رأت فى هذا تهدئة للتوتر ، واستعانت بالحكومات العربية على ذلك ، فحل الاضراب بناء على طلب ملوك وأمراء هذه الحكومات ووعود قطعت بالانصاف ورفع الضيم هذه المرة .

٣٨

لجنة التحقيق الملكية

وزارت اللجنة فلسطين فى شهر نوفمبر عام ١٩٣٦ ، ولبثت فيها إلى أواسط يناير من عام ١٩٣٧ وأستمعت إلى أقوال وشهادات ممثلى الحكومة والعرب واليهود ، وقدمت تقريرا ضخما فى صيف ١٩٣٧ ، رفع كذلك إلى البرلمان البريطانى وجاء هو الآخر وثيقة خطيرة .

ومع ما فيه من جنوح خطيرة عن جادة التحقيق والنزاهة فى عرض المشكلة ومعالجتها ، فقد سجل هذا التقرير صحة دعوى العرب بأنهم أهل فلسطين

منذ الأجيال العديدة، وأنها لم تعرف إلا أنها جزء من سورية ـ وأنه لم يكن لليهود فيها كيان ذو شأن أو صلة وثيقة بعد شتاتهم إلا العاطفة الدينية، وذكرى الصلة التاريخية القديمة.

وكان مما سجله تقرير اللجنة الملكية :

١ ـ ان الأسباب الأساسية للاضطرابات هى رغبة العرب فى الاستقلال القومى وكرههم لإنشاء الوطن القومى اليهودى وتخوفهم منه ، وما من أحد إلا ويعلم حق العلم مقدار ما وصل اليه الآن كره العرب للوطن القومى من مرارة وانتشار . وقد زاد عما كان قبل خمس سنوات أو عشرة، وهذا الكره لا ينحصر فى فلسطين ، بل تجاوزها إلى البلاد العربية الأخرى، وكان من آثاره أن قامت مظاهرات عدائية فى القاهرة وبغداد وغيرهما .

٢ ـ أن هذين السببين هما بذاتهما اللذان أديا إلى الاضطرابات التى وقعت فى سنى ٢٠ ، ٢١ ، ٢٩ و ١٩٣٣ .

٣ ـ أن هناك عوامل أخرى تنضم إلى هذه الأسباب منها الضغط الذى أحدثته اليهودية العالمية على فلسطين وما نتج عنه وخاصة ازدياد الهجرة اليهودية الذى زاد فى شدة تخوف العرب من سيطرة اليهود على فلسطين ، ومنها عدم تساوى الفرص المتيسرة للعرب واليهود لبسط قضيتهم ، واعتقاد العرب بأن اليهود يستطيعون الوصول دائما إلى ما يريدون بوسائل يحرمها العرب وتنكر عليهم ، ومنها ازدياد ارتياب العرب بمقدرة الحكومة البريطانية على تنفيذ وعودها ، ومنها فزع العرب من استمرار شراء أراضيهم

٤ ـ أنه كان رد فعل شديد لسياسة الحكومة البريطانية فى البلاد العربية الأخرى . حيث اشترك فى الثورة عدد لا يستهان به من المتطوعين سوريين

وعراقيين وأردنيين، حيث انفسح المجال لتدخل الحكومات العربية وملوكها فى الحالة القائمة فى فلسطين عام ١٩٣٦ .

٥) أن الهوة قد اتسعت جدا بين اليهودية العالمية والعالم العربى ، وأن العداء بين الفريقين قد ينقلب إلى اعتداء خطر .

٦) أن الالتزامات التى حملتها الحكومة البريطانية تجاه اليهود والعرب متعارضة ولا يمكن التوفيق بينهما .

٧) أن الحكومة البريطانية مع ذلك قد ساعدت نمو الوطن القومى مساعدة عظيمة ، فتضاعف عدد اليهود أضعافا كثيرة وتضاعفت أملاكهم كذلك ، ونمت صناعاتهم وصار لهم كيان قومى كامل ، حتى أنه يجب أن يقال إن الحكومة قد قامت بواجبها فى إنشاء الوطن القومى اليهودى فى فلسطين خير قيام وأنه أصبح مشابها لحكومة داخل حكومة ، ولكن اليهود غير قانعين ، فهم يطالبون بفتح باب الهجرة حتى يصبح اليهود أكثرية ، وينشئوا دولة يهودية .

٨) أن وجود الوطن القومى مهما كان حجمه ، يقف حائلا فى سبيل نيل عرب فلسطين نفس الوضع القومى الذى ناله جميع العرب الآخرين فى آسيا ، وستبقى هذه الصعوبة ماثلة للعيان ما زال الانتداب قائما .

٣٩

محاباة اللجنة فى عرض القضية ومعالجتها

ولقد كان منطق هذه الاستنتاجات يؤدى إلى التوصية بالكف بعد الآن

عن الاستمرار فى سياسة الوطن القومى اليهودى التى كانت عاملا فيما وقع على العرب من حرمان وبغى ، وهم أصحاب البلاد . وحقهم صريح فى الاستقلال والطمأنينة على مصيرهم فى وطنهم ، وعاملا فى نشوب الاضطرابات وتكررها وانتشارها وتجاوزها فلسطين إلى البلاد العربية الأخرى ، وإلغاء الانتداب وإعلان استقلال فلسطين ، ووقف بيوع الأراضى والهجرة اليهودية غير أن اللجنة بتأثيرات شتى جنحت جنوحا خطيرا عن جادة الحق والنزاهة فعالجت الأمر على أساس التسوية بين مركزى العرب واليهود ، ومطالبهم مع ما فى هذه التسوية من مغالطة بارزة ، وقد جاء تقريرها مشربا بروح المحاباة لليهود والغمز بالعرب ، ولم تأبه بما لحق بالعرب من تزلزل كيان ومركز وحرمان من جراء نمو الوطن القومى اليهودى ومحاباة الحكومة لهم ، بل رأته صحيحا على ضوء نص الانتداب مع تقريرها تناقض هذا النص وعدم إمكان مساعدة اليهود بدون اجحاف بالعرب .

٤٠

اقتراح تقسيم فلسطين

وكان مما اقترحته اللجنة الملكية تقسيم فلسطين إلى دولتين مستقلتين ، احداهما يهودية والثانية عربية ، ولم تر بأسا فى أن تكون ثلاثة أرباع اراضى الدولة اليهودية من اراضى العرب ولا أن يكون ما يقرب من نصف عدد سكانها عربا — وقد اقترحت اجراء تبادل بين اليهود والعرب من سكان الدولتين على تفاهة ما لليهود فى الدولة العربيه المقترحة من أرض وعدد بحيث

لا تكاد النسبة تبلغ واحدا إلى خمسة ، وأوصت ببقاء منطقة خطيرة الشأن كمنطقة انتداب انجليزى .

وتفاصيل المشروع تبين بصورة لا تقبل الجدل روح التحيز والغرض ، والمحاباة لليهود . حاضرا ومستقبلا أيضا ، وبحيث يجرد العرب من أكبر مساحة من وطنهم وأخصبها وأعمرها وتصبح يهودية ويظل فى أيديهم الأقسام الجبلية البائسة والصحراوية المقفرة لتضم إلى شرق الأردن . .

وقد سارعت الحكومة البريطانية إلى قبول هذا الاقتراح ، كما سارع الى ذلك اليهود مبتهجين لأنه ينيلهم ما لم يجرأوا على طلبه إلا همسا باستثناء حزب صغير متطرف منهم ، كانت أكثريتهم تنعته بالطيش والرعونة .

٤١

استنكار العرب للتقسيم

وكان من الطبيعى أن يجمع العرب فى فلسطين على استنكار أسلوب اللجنة الملكية ومشروعها الذى فيه ظلم صارخ على كيان فلسطين العربى ، وعلى كيان الأمة العربية فى مختلف أقطارها ، وقد شاركهم فى ذلك حكومات وهيئات وسائر سكان البلاد العربية الأخرى ناعتين هذا بالغدر والبغى والمحاباة ، ومعلنين تضامنهم مع أهل فلسطين فى أحباط الشر والكيد الذى يبيت لفلسطين وسائر بلاد العرب على مختلف الاعتبارات والوجوه .

وقد عقدوا مؤتمرا قوميا عام ١٩٣٧ فى (بلودان) بسورية شهده عدد

عظم من رجالهم من مصر والعراق وسورية ولبنان والأردن وفلسطين والحجاز ، وسجلوا استنكارهم واحتجاجهم ورفضهم ، وإصرارهم على الميثاق القومى الذى رسموه منذ الأصل .

٤٢

عسف الحكومة لاجل كسر مقاومة العرب

على أن العرب لم يلبثوا أن شعروا بمؤامرة جديدة تحاك ضدهم لتنفيذ الخطة فى صورة خطة شديدة فى الجرائد الانجليزية واليهودية على قادة الحركة الوطنية العربية ،ناعتة اياهم بالعناد والتطرف ، ومطالبة بالبطش بهم ، ثم تبع هذه الحملة الصحافية حركة اعتقالات واسعة للوطنيين فى مختلف انحاء فلسطين مما أدى إلى توتر شديد وقع أثناءه بعض الاضطرابات ، فسارعت الحكومة إلى حل اللجنة العربية العليا التى كانت تقود الحركة الوطنية ، والقبض على من أمكن من أعضائها ونفيهم إلى جزيرة سيشل ، ومحاصرة الحرم الشريف المسجد الأقصى الذى يقيم فيه رئيسهم سماحة المفتى الأكبر ،وعزله من منصبه الدينى كرئيس للمجلس الاسلامى الأعلى ، ووضع يدها على هذه المؤسسة التى تدير أوقاف المسلمين ومحاكمهم الشرعية ، وشئون معابدهم ومؤسساتهم الدينية والثقافية رغماً عن أن نص صك الانتداب يحظر ذلك عليها .

فاشتد التوتر وعاد الاحتكاك بين العرب والسلطات البريطانية ، وما لبث أن أخذ شكل ثورة لاهبة استمرت إلى منتصف سنة ١٩٣٩ ، ولم تقف إلا بسبب الحرب العالمية الثانية .

٤٣

قسوة السلطات فى معاملة العرب

ولقد قابلت السلطات حركة العرب بأشد صور القسوة والعنف . حيث بلغ عدد شهدائهم نحو ستة آلاف وجرحاهم ضعف هذا العدد ، وأقامت المعتقلات الواسعة التى زاد حشد ما فيها على خمسين ألفا . ولم تترك طبقة من العرب إلاوزجتها فيها ، بما فى ذلك الشيوخ وعلماء الدين والقضاة الشرعيون وأباحت لنفسها نسف البيوت والمبانى والمخازن فى القرى والمدن لأتفه الاسباب ، فزاد ما نسفته على الفى بناء ، وأجازت اعدام من كان فى حيازته أى سلاح ، ولو كان رصاصات مخبوئة ، فبلغ عدد الذين شنقتهم(١٤٨)عربيا عدا الكثيرين الذين قتلتهم رميا بالرصاص من غير محاكمة، والمئات الذين حكم عليهم بمدد طويلة فى السجن ، وقد تحمل العرب كل هذا بصبر وجلد عظيمين لأنهم كانوا يشعرون انهم فى معركة موت أوحياة . ودفاع عن وطن ومقدسات وقد شاركهم فى هذه المرة أيضا كثير من إخوانهم العرب على مختلف أقطارهم بالرجال والسلاح والمال لأنهم رأوا هذا واجبا عليهم لوطن من أوطانهم ، وبالنسبة لأوطانهم نفسها لما ينفتح عليهم من باب الفتنة والشر إذا نجحت المؤامرة ، وتم إنشاء دولة يهودية فى جزء من بلادهم ، يحشد اليها اليهود من كل صوب ، وتكون وكراً للدسائس السياسية والدعايات الهدامة ، والتحكم الاقتصادى فتكتوى البلاد العربية جميعها بنارها .

٤٤

لجنة التقسيم وتقريرها بتعذر التقسيم

ولقد كانت اللجنة الملكية أوصت درس مشروعات التقسيم من قبل لجنة فنية ، فزارت هذه اللجنة (التى عرفت بلجنة وود هيد) فلسطين عام ١٩٣٨ وقدمت تقريرها فى نفس السنة ، وقد عرضت فيه دراساتها المتنوعة ، ثم انتهت إلى تسجيل تعذر قيام دولتين فى فلسطين ، يهودية وعربية ، لامتزاج اجزاء فلسطين ببعضها امتزاجا يتعذر الفصل بينه ، ولعدم استطاعة أى دولة أن تعيش اقتصاديا لحدتها ، فجاء التقرير وثيقة خطيرة جديدة تؤيد وجهة نظر العرب وتساعد على احباط المؤامرة ، وفى هذه المرة تظاهرت الحكومة البريطانية بنية الرجوع عن غلوائها بعض الشيء ، وقد رأت العرب غير متزلزلين عن ميثاقهم متحملين فى سبيله أجسم التضحيات ثم رأت العرب فى سائر اقطارهم يؤيدون هذا التأييد كله ، بحيث أصبحت قضية فلسطين قضية الشرق العربى بأكمله .

٤٥

العدول عن التقسيم ومؤتمر لندن عام ١٩٣٩

فاذاعت الحكومة البريطانية بيانا فى عام ١٩٣٨ أعلنت فيه عدولها عن مشاريع التقسيم نتيجة لتقرير اللجنة الفنية ، وعزمها على عقد مؤتمر بريطانى ، عربى يهودى ، يشترك فيه ممثلون عن الحكومات العربية فضلا عن ممثلى

عرب فلسطين لمعالجة الحالة معالجة حاسمة ، وقد رفض ممثلو العرب الجلوس مع اليهود لأنهم لم يعتبروهم فى وقت ما طرفا فى النزاع ولا أصحاب حق فى فلسطين ، وعقد المؤتمر بينهم وبين ممثلى الحكومة البريطانية فى أوائل سنة ١٩٣٩ ، وقد أصر العرب على وجوب الرجوع بالقضية إلى بساطتها والكف عن الاستمرار فى الخطة الشاذة التى سير عليها والتى جرت على العرب وفلسطين الفتن والشرور ، بحيث تعلن فلسطين دولة مستقلة ويلغى الانتداب ، وتسوى العلاقات بينها وبين بريطانيا بمعاهدة أسوة بما جرى فى العراق وسورية ولبنان مثيلات فلسطين وشقيقاتها ، وتوقف الهجرة اليهودية ، وانتقال الأراضى لليهود وقفا تاما .

٤٦

الكتاب الابيض لعام ١٩٣٩ ومنهجه الجديد

ولم ترد الحكومة البريطانية الأخذ بوجهة نظر العرب وتطبيقها فورا ، فانفرط المؤتمر من دون اتفاق . غير أنها فى ذات الوقت لم ترفض هذه الوجهة بالمرة ، فقررت خطة سياسية مقاربة نظريا اليها وأعلنتها فى كتاب أبيض فى ربيع سنة ١٩٣٩ الذى جاء هو الآخر وثيقة خطيرة أخرى تمتاز بخطورتها عن كل ما سبقها حيث :

(١) اعترفت الحكومة بتعارض الالتزامات التى أخذتها على عاتقها نحو اليهود والعرب ، وغموض معنى ومدى الوطن القومى .

(٢) واعترفت بأنها ساعدت على نشوء الوطن القومى مساعدة فعالة بحيث صار من الصواب أن يتمتع أهل فلسطين بما أمكن من السرعة بحقوق

الحكم الذاتى التى يمارسها أهالى البلاد المجاورة

(٣) وقررت أنها ترمى إلى هدف تشكيل حكومة فلسطينية مستقلة خلال عشر سنوات ترتبط معها بمعاهدة وينتهى بها الانتداب بعد التشاور مع مجلس عصبة الأمم ، على أن يسار فى هذا التشكيل بخطوات تدريجية يعطى فيها أهل فلسطين نصيبا متزايدا فى حكومة بلادهم ، وعند انقضاء خمس سنوات تشكل هيئة ملائمة من ممثلى فلسطين والحكومة البريطانية للنظر فى كيفية سير الترتيبات الدستورية ،ووضع دستور لدولة فلسطينية مستقلة .

(٤) وقررت أن تسمح لآخر مرة لخمسة وسبعين الف مهاجر خلال خمس سنوات ، ثم لايسمح بعد ذلك بهجرة يهودية أخرى إلا إذا قبل بها عرب فلسطين

(٥) وقررت كذلك معالجة مشكلة الأراضى باصدار تشريعات من شأنها منع أو تحديد أو اباحة انتقال الأراضى لليهود حسب ظروف مناطق فلسطين المختلفة .

وقد ذكرت أن الحكومة البريطانية ستسير فى هذه الخطة سواء اغتنم كلا الفريقين الفرصة وتعاونا معها أم لا .

٤٧

تحفظ العرب وسببه

وقد جاء موضع التطور الدستورى ونشوء الدولة الفلسطينية فيه غامضا وفيه مايجعل تحقيقهما منوطا بمشيئة اليهود ، فكان هذا مما حمل اللجنة العربية

العليا على الاعتراض ، والبلاد العربية على الوقوف موقف المتحفظ .

ولقد شعر العرب مما احتواه الكتاب من تحفظات وتأجيلات أن الحكومة البريطانية مازالت تجنح إلى التخدير والتطويل والتعقيد ، لاسيا وهى تعرف أن اليهود الذين نموا بمحاباتها وتشجيعها لن يجنحوا إلى المسالمة والرضاء والانسجام مادامو ايعرفون أن هذا من شروط قيام الدولة الفلسطينية التى سيكونون فيها أقلية دائمة ، وما داموا قد اعتادوا من الحكومة البريطانية النكوص عن كل مالا يرضون به ، ونقض كل ما أبرمته فى سبيل مجاراتهم ومرضاتهم ولقد سارع اليهود إلى رفض الخطة وأعلنوا الاحتجاج عليها واستنكارها فكان هذا نذيرا عاجلا لما هو مقدر من موقفهم منه .

٤٨

عرب فلسطين في الحرب العالمة الثانية

وبعد بضعة أشهر من صدور هذا الكتاب ، نشبت الحرب العالمية الثانية فرأى العرب فى فلسطين أن يهادنوا بريطانيا على أمل أن تقدر لهم موقفهم هذا وتبر بوعدها على الوجه المرضى السليم ، وتفتح بينها وبينهم صفحة جديدة بعد الحرب ، بل وقد تطوع عدد كبير منهم فى وحدات التطوع وسيق كثير منهم إلى جبهات أفريقيا وأوربا وساهموا فعلا فى الحرب فيها ، ومنهم من قتل ولم يبد منهم أى موقف عدائى حتى حينما وصل الألمان أسوار الاسكندرية وهددوا قناة السويس .

٤٩

تسليح اليهود أثناء الحرب واستغلاله

وفى أثناء الحرب سلحت الحكومة البريطانية فرقة دفاعية فى فلسطين ودربتها وملأت أيديها بالسلاح ومختلف الأجهزة الفنية، وسمحت كذلك لليهود بأن ينضموا فى فرقة خاصة فى جيشها فصار لهم فرصة عظيمة للتسلح والتدرب، ورأت المنظمات الصهيونية أن تغتنم الفرصة للضغط على الحكومة البريطانية لالغاء سياسة الكتاب الأبيض؛ وفتح باب الهجرة الذى أوشك أن يغلق وفقا لها، فأخذت بعض جماعاتهم المسلحة تقوم بحركات ارهابية ضد السلطات البريطانية، وكان للوكالة اليهودية ضلع فى ذلك، كما ثبت فى الكتاب الأبيض الذى نشرته الحكومة البريطانية عام ١٩٤٦، وقامت من جهة أخرى أبواق دعاياتهم بحملة شديدة، واستغلت ما كان يقع على اليهود من النازيين بقصد فتح باب فلسطين لهجرة ماسموه بالمشردين منهم استغلالا واسعا جعل كثيرا من الأمريكيين وغير الأمريكين يندمجون فيه هذا فى حين أنه لم يعد هناك محل له بعد أن انهارت النازية وانتصرت الديموقراطيات، وصار فى مقدورهم وضع الضمانات الكافية لحياة اليهود وأمنهم وحقوقهم فى مواطنهم الأصلية، وفى حين أن الأسلوب الذى عمدت اليه المنظمات الصهيونية إنما يرمى إلى فرض رغبة الأقلية على الأكثرية، ومنع هذه من التمتع بحقها الطبيعى بالقوة.

٥٠

التهريب اليهودى

ومما حدث واندمج فيه كثير من الامريكان وغير الأمريكان مسارعة تلك المنظمات إلى اغتنام فرصة تأثير الحملات الدعائية فرسموا خططا بارعة لسوق اليهود وحشدهم من مختلف الأماكن التى هم فيها فى أوربا الشرقية إلى ماسموه معسكرات المشردين والموانى الأوربية الجنوبية وتهريبهم إلى فلسطين بمختلف الوسائل والأساليب وقد سخر الموظفون اليهود الكثيرون فى منظمة (الاونرا) وظائفهم وأمكانياتهم فى هذه المهمة. مما ظهرت حقيقته فصيحة بلسان الجنرال مورغان مدير المنظمه المذكورة العام، حيث قرر أن الواردين ليسوا بؤساء ولا مشردين، وإنما يحشدون حشدا بأساليب سرية محكمة ولمقاصد سياسية لاتمت إلى الانسانية والانقاذ بسبب، وهكذا انحبكت مؤامرة يهودية محكمة عدتها الارهاب والضغط والدعاية والتهويش والاستغلال والبراعة والبذل فاستطاعت ان تؤثر فى مختلف الأوساط بالعالم تأثيرا غير يسير وتجعل بعض حسنى النية يتوهمون أن هناك قضية يهودية عادلة بالنسبة لفلسطين، وتعقد حل مشكلة هذا البلد المنكوب حلا عادلا بدأت تباشير أمكانه قبيل الحرب، بل وتزيد فى مضاعفاتها.

٥١

أثر المنظمات اليهودية فى الولايات المتحدة وبريطانيا

ولقد كان للمنظمات الصهيونية فى الولايات المتحدة جهد قوى وملموس، حيث استغلت نفوذ رجالها السياسى والعالى والصحفى والانتخابى

وجعلت رجال الحكومة والأحزاب الأمريكيين يأخذون به أخذا غير قليل ؛ ويزداد بهم تعقيد قضية فلسطين . ولا يزال العالم يذكر الدور العجيب الذى استطاع أن يلعبه اليهود فى انتخابات الولايات المتحدة الأمريكية واندماج الحزبين العظيمين فى هذه الدولة الديموقراطية الكبرى اندماجا يستوجب الرثاء ، لأنهم أنسوهما هذه المبادىء الديموقراطية بالنسبة لفلسطين ؛ وجعلوهما يناقضانها فى طلب مساعدة اليهود على العرب ووطنهم الشرعى فى مكاثرتهم وفرض سلطانهم عليهم وحلولهم محلهم ، وإنشاء عنصرية دينية فى بلادهم بقوة الحديد والنار ، وارضاخ أكثريتهم لارادة الأقلية اليهودية مما لا تزال آثاره قائمة بشدة رغم ما حاول العرب ، على ضعف وسائلهم ، من تصحيح له ولفت النظر إلى ما فيه من مجافاة الحق ومناصرة الباطل والبغى .

ولقد كان نفوذ اليهود الصهيونيين فى حزب العمال البريطانى قويا أيضا فكان ذلك مما أثر تأثيرا غير يسير فى تعقيد القضية مرة ثانية وجعل حكومة العمال تتنصل من التزامات الكتاب الأبيض التى تقيدت بها الحكومة البريطانية بشرفها ، والتى كان حسنوا الظن من العرب ينتظرون برها بها عقب الحرب ، وذلك بالرغم عما كان من اليهود من جحود فظيع لفضل الانجليز ، ومن استعمالهم السلاح الذى ملأوا به أيديهم والتدريب الذى دربوهم عليه ضدهم حيث استمروا فى حركاتهم الارهابية بشدة وعنف كان لهما آثار خطيرة فى حالة فلسطين الاقتصادية والاجتماعية ، وزهقت من جرائها أرواح عدد كبير من ضباط الانجليز وجنودهم وموظفيهم ، ودمرت مبان ومنشآت رسمية عظمى ، وتحملت خزينة حكومة فلسطين التى يدفع المكلف العربى أكبر جزء من إيرادها إعباء مالية كبيرة بسبب ذلك

٥٢

عدم جد بريطانيا فى مكافحة التهريب والارهاب ومغزاه

ونقول بهذه المناسبة أن من دواعى الأسف أن السلطات الانجليزية لم تكن جاده فى مقاومة ماسمى بالهجرة غير الشرعية مع ما فيها من تحد لقوانينها وهيبتها بل وقد كانت مواقفها مشجعة لذلك كما أنها لم تجد فى مكافحة الارهاب اليهودى ، ولم تفعل عشر ما فعلته بالعرب فى سنى ٣٦ / ١٩٣٩ ، فلم تعدم يهوديا ولم تهدم بناء يهوديا ولم تجب غرامة من اليهود ولم تحل لهم وكالتهم التى ثبت ضلعها فى الارهاب ولا منظمة من منظماتهم ، بل وكانت تظهر كل مظاهر الرقة والتحفظ والحذر فيما كانت تقوم به أحيانا من تفتيش ، مع عظم الفارق بين حركتى العرب واليهود من حيث الهدف والأثر والضرر ، ومع أن الانجليز فى فلسطين الآن نحو مائة وخمسين الف جندى وبوليس ورضيت مختارة أو كارهة على ما بدا من اليهود من دوس كرامتها وكسر قوانينها وخطف ضباطها وقضاتها وجلدهم ، بل كانت تحظر على جنودها وبوليسها مقابلة العدوان بالمثل والدفاع عن النفس ، مما ضج منه الجنود والضباط وحملهم على الشكاوى العلنية ، وقد رددت فى البرلمان الانجليزى وخارجه ثم اضطرت إلى جمع موظفيها وعائلاتهم ومكاتبها فى أماكن محصنة ، وخشيت أن تنفذ الاعدام فيمن حكم عليهم به من اليهود مما أثار الدهشة والرثاء .

ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا أنه لو وقع من العرب ربع ما وقع من اليهود لما أبقت السلطات لهم حجرا على حجر فى بناء ، ولا رجلا إلا فى السجن

أو القبر . ولا درهما إلا وضعت يدها عليه وليس من شك فى أن هذا كان عاملا كبيرا فى استمرار حركة الارهاب اليهودى واتساعه مما جعل العرب يظنون بحق أنه جزء من مؤامرة انجليزية يهودية تهدف إلى تبرير مسايرة اليهود . وإخلال الحكومة البريطانية بالتزاماتها نحو العرب فى استقلال فلسطين ومنع الهجرة وبيوع الأراضى .

٥٣

فتح باب الهجرة اليهودية إلى فلسطين نقضا للكتاب الابيض ، واجنة التحقيق الامريكية الانجليزية .

وفى سنة ١٩٤٦ بدأت أمارات مؤامراه انجليزية أمريكية يهودية عندما نادى الرئيس ترومان بتأثير الصهيونية الأمريكية وأساليبها ، بوجوب فتح باب فلسطين وادخال مائة ألف مهاجر يهودى ، وقد كانت هجرة الخمسة وسبعين ألفا المقررة فى الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٩ قد تمت ، ووجب اغلاق باب الهجرة ، وفقا لذلك الكتاب

فاقترحت الحكومة البريطانية تشكيل لجنة أمريكية انجليزية لدرس قضية فلسطين واقتراح معالجتها (مع ماكان من تكرر تشكيل اللجان وقتلها المشكلة درسا) وتقديم التواصى وخطة الحكومة البريطانية النهائية الحاسمة المستندة الى كل ذلك ـ وتم تشكيل هذه اللجنة التى ظهر مؤخرا أنه كان للصهيونية أثر غير قليل فى اختيار أعضائها ، أو بعضهم من مناصريهم . ولقد أراد العرب مقاطعة هذه اللجنة . فبذلت الحكومة البريطانية مساعيها ووعودها للحيلولة دون ذلك ، ثم اتخذت اللجنة الارهاب اليهودى وسيلة لفتح باب الهجرة اليهودية من جديد ، بمعدل ألف وخمسمائة فى الشهر ، وحاولت أن تأخذ موافقة العرب على ذلك انسجاما مع الكتاب الابيض . فلما أبو ذلك لم تبال برفضهم ، ونقضت ذلك الكتاب وأخذت تسمح بالمعدل المذكور .

ومن غريب النكث والخداع أن الحكومة البريطانية أكدت للحكومات العربية ولأهل فلسطين أن هذا السماح انما هو موقوت بأربعة أشهر ، وهى المدة المفروضة لقيام لجنة التحقيق بمهمتها ثم ظلت تستمر فيه ، وتنوى أن تظل مستمرة فيه..

ولقد طلب العرب فى سنة ١٩٣٦ وكانوا مضربين اضرابهم العظيم ، والبلاد شديدة التوتر والثورة ملتهبة ، ايقاف الهجرة إلى أن تقوم لجنة التحقيق الملكية بمهمتها ، فأبت الحكومة البريطانيه ذلك بحجة أن الحالة الراهنة هى الهجرة ، وأنها لاتبدلها بتأثير الضغط ، أما حينما كان الأمر يخص اليهود فى سنة ١٩٤٦ فلم تر بأسا فى تعديل الحالة الراهنة بقوة الضغط ، وهكذا وقفت موقفين متناقضين جريا على عادتها فى كل موقف لها مع العرب واليهود .

٥٤

تحقيقات اللجنة وزياراتها لبلاد العرب

وزارت اللجنة الأمريكية الانجليزية مصر وفلسطين وشرق الاردن وسورية ولبنان والعراق والمملكة العربية السعودية ، واستمعت إلى بيانات رؤساء الدول العربية وممثلى حكوماتها ، والجامعة العربية وممثلى فلسطين وعدد غير قليل من الهيئات والشخصيات العربية ، وتلقت مذكراتهم التى عرضت فيها القضية العربية الفلسطينية وتطوراتها ، وفندت مزاعم اليهود وخيالاتهم وخطط الحكومة البريطانية وسياستها الباغية ، وأكدت تصميم العرب فى جميع بلادهم على وجوب تحقيق ميثاق العرب فى استقلال فلسطين وإلغاء الانتداب ووقف الهجرة وبيوع الأراضى ، وعلى مقاومة مطالب اليهود

بكل وسيلة ، وماقد يؤدى الاستمرار فى مجاراتها اليه من اضطرابات فى الشرق العربى والاسلامى عامة ومن تعريض للصداقة الانجليزية الأمريكية العربية إلى الفتور ، ثم من مناقضتها لمبادىء الحق والعدل ومشابهتها للمبادىء النازية والديكتاتورية . وقد بين العرب وجوب التفريق بين ما يسمى مشكلة اليهود العالمية وقضية فلسطين . لاستحالة حل تلك المشكلة بواسطة فلسطين، ووجوب حلها بمنح اليهود ، إذا شاءوا ، حق الهجرة الى بلاد أوسع وأصلح فى أمريكا واستراليا أو ميثاق لحمايتهم وأمنهم واستقرارهم فى موطنهم مما هو فى مقدور أمريكا وبريطانيا .

وقد استمعت اللجنة الى اليهود . فكرروا مطالبهم ومزاعمهم التى لا يسندها سند من حق أو منطق .

٥٥

شذوذ اللجنة فى توصياتها

وبعد قليل قدمت اللجنة تقريرها . فاذا هو آية فى الشذوذ والبعد عن النزاهة والعدل والمنطق والواقع ، فأولا ـ أنها سايرت مطالب الرئيس ترومان ومطالب اليهود أمامها ، فأوصت بادخال مائة ألف مهاجر ، كما أوصت بعدم جعل هجرة اليهود متوقفة على رضاء العرب الذين هم أصحاب البلاد ، بحجة أنه ليس هناك بلاد أخرى ترضى بها وأن اليهود لا يرغبون فى الهجرة الى غير فلسطين ، وطلبت بكل وقاحة وسخف من العرب أن لا يمانعوا فى هذه الهجرة استجابة للبواعث الانسانية ، ولم تراع ما حل بالعرب من هذه الهجرة من بلاء وشر وحرمان حق وما أدت اليه من كثافة سكان وضيق أرض . مما جعل

الحكومة البريطانية نفسها تدرك هذا ، ولو متأخرة ، فتقرر فى كتابها الأبيض لسنة ١٩٢٩ وقف الهجرة وقفا تاما . وثانيا ـ أنها مع اعترافها أن صلة اليهود بفلسطين تاريخية قديمة وأن العرب هم أصحابها ، وأنهم الأكثرية العظمى فيها إلى الآن ، ساوت فى الموقف بين اليهود والعرب ، فوصت بالقضاء على دعوى الفريقين على السواء ، بأن فلسطين لهم وحدهم وبألا تكون فلسطين دولة عربية ولا دولة يهودية ، بل دولة يتسنى فيها التوفيق بين الأمانى الوطنية المشروعة لكل من اليهود والعرب وأنه لا يجوز أن تكون الكلمة العليا فى هذه الدولة للاغلبية العددية . فأباحت لنفسها تضحية أصحاب البلاد والأكثرية فيها فى سبيل أقلية دخيلة محشودة من مختلف الجنسيات بالقوة وثالثاً ـ عالجت الموقف من الناحية الدينية بالنسبة للعرب واليهود والمسيحيين مع ما فى ذلك من مغالطة بارزة . فصلة العرب بفلسطين ليست دينية فحسب وانما هى وطنهم الذى يعيشون فيه منذ القرون الطويلة سواء فى ذلك المسلمون والمسيحيون وهذا بعكس اليهود ، ولا يستطيع منصف أن يساوى فى هذا بين العرب وغيرهم : كما لا يستطيع منصف أن يدعى أن علاقة دينية ما ببلد تبرر أن يحرم أهلهـــا من حقهم فى حريتهم وطمأنينتهم واستقلالهم . ورابعا وصت بابطال القوانين التى تحدد وتنظم انتقالات الأراضى لليهود استجابة لرغبات اليهود ولم تراع ما حل بالعرب من جراء اباحة انتقال أراضيهم لليهود من شر وضيق واضطراب وتشرد . وما من شأنه أن يزيد فى ضررهم فى المستقبل ، مما جعل الحكومة البريطانية تدرك ذلك . ولو متأخرة ، فتتخذ بعض التدابير التشريعية التى لم تأت كافية .

٥٦

معنى شذوذ تقرير اللجنة

وليس من الغلو أن يقال. وقد جاء تقرير اللجنة على هذا الوجه، من انكار صريح لمبادىء الديمقراطية والحقائق القائمة فى هذا السكون واستجابة تامة لرغبات اليهود واجحاف بعيدالمدى لمركزالعرب ومستقبلهم، أن تشكيل هده اللجنة لم يكن إلا عملا تمثيليا أريد به التعمية والخديعة وخدمة مآرب اليهود وأنصارهم فى أمريكا وانجلترا. وقد كان لهذا التقرير ردفعل استنكارى شديد فى فلسطين والبلاد العربية، رؤسائها وحكوماتها وهيآتها وعامتها على السواء، حيث قدمت الاحتجاجات الدامغة، وكررت اعلان تصميم العرب على عدم تزلزلهم عن ميثاقهم باستقلال فلسطين والغاء الانتداب ومنع الهجرة اليهودية وانتقال الأراضى العربية لليهود.

٥٧

مجلس جامعة الدول العربية ومفاوضة بريطانيا

ثم رأى مجلس جامعة الدول العربية المؤلف من دول مصر واليمن والمملكة العربية السعودية والعراق وسوريا ولبنان وشرق الأردن وعرب فلسطين أن أمر قضية فلسطين قد طال وأنه ما زال يرتكس فى التعقيد والمراوغات وأنه آن أوان الحسم فيه، ووضع نصاب الحق فى موضعه فيه وإيقاف هذه المؤمرات ضد فلسطين عند حدها، فقرر مطالبة بريطانيا بالمفاوضة لحل هذا النزاع على أساس الحق والعدل اللذين يسندان حق العرب فى الاستقلال

والسيادة فى وطنهم الشرعى ومنع الهجرة اليهودية وانتقال الأراضى العربية لليهود ورفض أى حل يقوم على أى شكل من أشكال التقسيم وقيام كيان يهودى خاص فى فلسطين حتى إذا تعذر الاتفاق رفع الأمر إلى هيئة الأمم المتحدة وفاقا لنصوص ميثاقها الذى يقضى بألا يرفع اليها من المسائل إلا ما يتعذر حله مباشرة وحلا سلميا. ووافقت الحكومة البريطانية على عقد مؤتمر بينها وبين ممثلى حكومات الجامعة العربية المشار اليها، واجتمع المؤتمر فى دورتين أحداهما فى خريف ١٩٤٦ وثانيتهما فى شتاء ١٩٤٧ وقدمت الحكومة البريطانية مشروعا تقسيميا اتحاديا يبقى باب الهجرة اليهودية مفتوحا والانتداب الانجليزى مستمرا فرفضه العرب بطبيعة الحال، وقدم وفودهم مشروعا يقوم على أساس استقلال فلسطين والغاء الانتداب ويشترك فى بنيانه العرب واليهود المتجنسون بالجنسية الفلسطينية بصورة شرعية بنسبة عددهم ويتضمن دستوره الضمانات الوافية الدينية والمدنية للاقليات والاماكن المقدسة حسب أحسن الاشكال على أن توقف الهجرة اليهودية وانتقال الاراضى العربية لليهود ومع أن المنطق يقضى على الحكومة البريطانيه الموافقة على هذا المشروع الذى ينسجم مبدئيا مع مشروعها الذى ذكرته فى كتابها الأبيض لسنة ١٩٣٩ فانها لم توافق عليه وتنصلت من العهد الذى ارتبطت به الحكومة السابقة ثم عرضت على العرب مشروعا آخر بأن يقبلوا الهجرة لمائة الف يهودى فى سنتين مع استمرار الهجرة حسب قوة الاستيعاب ورأى حكومة فلسطين على أن تصبح فلسطين مستقلة بعد خمس سنوات بشرط اتفاق العرب واليهود على الدستور فرفض العرب بطبيعة الحال هذا المشروع، لأن الأمر الإيجابى فيه هو تدفق الهجرة أما الاستقلال فهو وعد موقوف على موافقة

اليهود ، والتراجع عنه مؤكد سلفا قياسا على ما كان من الحكومة ، وعندئذ أعلنت الحكومة البريطانية أنها ستضع القضية بحذافيرها أمام هيئة الامم المتحدة ومما قاله وزير خارجيتها حينما أعلن ذلك أمام البرلمان ، إن بريطانيا فشلت فى تطبيق الانتداب لما احتواه من التزامات متعارضة ،

١٩

القضية أمام هيئة الامم المتحدة وأمل العرب

ومع ما يساور العرب من ريب فى اخلاص بريطانيا فى حيادها الموعود عند عرض القضية أمام هيئة الأمم المتحدة لاسيا والمطامع الاستعمارية هى التى أوحت لها بخلق هذه المشكلة وتعقيدها ومع خوف العرب من من تأثير المنظمات الصهيونية فى بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكيه ، ونفوذ دعاياتها المضللة وأساليبها المتنوعه المريبه فانهم رحبوا باعلان بريطانيا هذا أملا بأن الحق والحقيقة والعدل والمنطق والمبادىء الديموقراطية لن يعدموا أنصارا وبأن لاتتمكن بريطانيا واليهود هذه المرة من خديعة الأمم كما فعلوا فى المرة الأولى ، وبأن يتمكن العرب من بسط مأساة فلسطين أمامها ونيل مؤازرتها فى الحيلولة دون استمرار هذه المأساة المفجعة المملوءة بالدماء والقلاقل والاضطرابات من أجل تجربة شاذة مستحيلة التحقيق فى هذا البلد العربى المحاط ببلاد العرب ؛ والذى يقدسه جميع العرب والمسلمين ؛ ونيل حقهم الطبيعى المشروع المنسجم مع مبادىء الحق والعدل والديموقراطيه وهو استقلالهم فى وطنهم ؛ وعدم ارغامهم على قبول هجرة غريبة تستهدف مكانتهم وحرمانهم من ذلك الحق وتضحيتهم فى سبيل هدف شاذ يراد تنفيذه

بالقوة ، لاسيا وقد اعترفت بريطانيا التى نكبت فلسطين بهذه النكبة بفشلها فى تطبيق هذا الانتداب وتعارض أحكامه .

٥٩

خلاصة العرض

إلى هنا ينتهى هذا العرض الموجز لهذه القضية التى انتقلت اليوم إلى هيئة الأمم المتحدة والتى لم يسبق لها مثيل فى بواعثها وظروفها وسيرها ، ويمكن تلخيصها فيما يلى :

١) إن فلسطين بلد عربى منذ ثلاثة عشر قرنا .

٢) أن العرب ثاروا على الأتراك تحت لواء الشريف حسين وحاربوا فى صفوف الحلفاء فى الحرب العالمية الأولى فى سبيل نيل استقلالهم ووحدتهم وكان عرب فلسطين فى جملتهم .

٣) إن بريطانيا وعدتهم بتحقيق هدفهم هذا باسم الحلفاء .

٤) إن هدفهم هذا حق طبيعى لهم أيدته المبادىء التى نادى بها الحلفاء وأكدها الرئيس ويلسون وميثاق عصبة الأمم .

٥) أن الحلفاء غدروا بالعرب فلم يفوا بوعدهم وفرضوا على بلادهم نظام الانتداب الذى قام مع ذلك على أساس الاعتراف بحقهم فى الاستقلال ومصيرهم اليه .

٦) أن هذا الأساس قد طبق على سورية ولبنان والعراق وقد انتهى الانتداب عنها ، وهى الآن متمتعة باستقلالها وسيادتها .

٧) إن فلسطين داخلة فى مدى المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الأمم ولكنها

حرمت مما تمتعت به مثيلاتها .

٨) ان سبب الحرمان هو تصريح بلفور الذى صدر من بريطانيا لليهود بانشاء وطن قومى لهم فى فلسطين ، وكان أهم باعث عليه مطامعها الاستعمارية فى فلسطين .

٩) بالرغم من أنه لا حق لبريطانيا بما وعدت به ، ونكثها بعهدها مع العرب . فقد استطاعت بالتآمر مع اليهود اقحام التصريح فى صك الانتداب على فلسطين .

١٠) ان صك الانتداب حمل بريطانيا مهمة تسهيل انشاء الوطن القومى اليهودى .

١١) ان صك الانتداب وتصريح بلفور اشترطا أن لا يكون حيف على أهل فلسطين ومركزهم من جراء انشاء ذلك الوطن .

١٢)لقد كان الصك والتصريح يحتويان التزامين متعارضين . ولكن الحكومة البريطانية اندفعت فى القيام بالتزامها لليهود فالحقت بحقوق العرب ومركزهم أكبر الأضرار .

١٣) ان اليهود غذوا ، وما زالو يغذون ، حركتهم بدعاية مضللة بما يملكونه من وسائل بارعة وقوية فى مختلف انحاء العالم .

١٤) ان اليهود بنوا حركتهم على صلتهم التاريخية بفلسطين وخدعوا بها الأمم مع أن هذه الصلة منبته منذ الفى سنة .

١٥) انهم ادعوا أن فلسطين مهجورة مقفرة مع أنها مكتظة بالعرب وهم أصحابها ، وفى درجه من الرقى الاجتماعى والثقافى والعمرانى لا تقل عن أحسن البلاد فى الشرق الأدنى والأوسط .

١٦) ان الباعث على حركتهم هو ما لقيه اليهود فى أوربا الشرقية خاصة

من اضطهاد لا يد للعرب فيه ، فليس من الحق أن يحملوا تبعته .

١٧) إن فلسطين لا يمكن أن تحل ما يسمى بالمشكلة اليهودية .

١٨) لقد انهدم الباعث على اضطهاد اليهود بعد انتصار الديموقراطيات وصار فى مقدور دولها أن تضمن لليهود أمنا وطمأنينة فى بلادهم .

١٩) أن فى أمريكا واستراليا وأفريقيا وجزر الباسفيك الواسعة الغنية المقفرة وغيرها متسعا لليهود إذا أرادوا أن ينشئوا لهم كيانا .

٢٠) ليس اليهود اليوم شعبا ولا قوما ، وإنما هم نحلة دينية — ومحاولتهم شاذه لأنها ترمى إلى جمع مختلف الجنسيات والأهواء فى وطن واحد على أساس الدين .

٢١) أن اليهود فى موقفهم فى فلسطين يماثلون النازية ويناوئون الديمقراطية لأنهم يريدون فرض أقليتهم على الأكثرية العربية وارغام العرب على التخلى عن وطنهم لهم وقبول هجرتهم اليه .

٢٢) لقد استطاع اليهود بنفوذهم واغرا آتهم وقواهم الانتخابية أن يحصلوا على تأييد أوساط مهمة فى أمريكا وبريطانيا لمطالبهم وأساليبهم ومواقفهم الشاذة رغم مخالفتها لمبادىء الديموقراطية .

٢٣) لن يكتب للهدف اليهودى فى فلسطين أى نجاح سياسيا واقتصاديا لاعتبارات وجيهة سياسية واقتصادية واجتماعية وجغرافية .

٢٤) إن العرب والمسلمين فى الشرق الأدنى والأوسط لن ينوا فى النضال ضد ذلك الهدف وضد مؤيديه مهما طال الزمن — وسيتطور هذا النضال تطورا خطيرا .

٢٥) إن هذه الحركة هى بذرة شر وفتنة وقلاقل ودسائس مستمرة فى هذين الشرقين

٢٦) إن هذه الحركة ستنقل جرثومة اللاسامية إلى هذين الشرقيين .

٢٧) لقد استنكر العرب فى فلسطين وغيرها هذه الخطة منذ الأصل وكانت الحكومة البريطانية تكابر وتستمر فى محاباتها لليهود والتنقص من حقوق العرب بالقوة ، فكان هذا مما دعى إلى تكرر الاضطرابات العربية .

٢٨) أرسلت الحكومة البريطانية لجان تحقيق عديدة وأذاعت كتبا بيضاء واعدة بتصحيح خطئها ولكنها لم تنفذ ما كان فى صالح العرب من نواص وعهود .

٢٩) فى سنة ١٩٣٩ اعترفت بأخطائها وتناقض التزاماتها وقيامها بواجبها نحو اليهود وقررت أنها ستمنح فلسطين استقلالها وتلغى عنها انتدابها وتوقف الهجره اليهودية اليها ولكنها لم تتقدم خطوة ما لتنفيذ ذلك .

٣٠) فى سنة ١٩٤٦ قدم العرب فى مؤتمر رسمى دعت اليه الحكومة البريطانية مشروعا على أساس ما أعلنته الحكومة المذكورة فى سنة ١٩٣٩ فرفضته فى هذه المرة .

٣١) لقد كان استمرار الإرهاب اليهودى نتيجة لتساهل الحكومة البريطانية .

٣٢) إن العرب يأبون والحق يعضدهم أن ينظر إلى قضية فلطسين على أساس التسوية بينهم وبين اليهود الدخلاء وأن تعتبر قضيتهم قضية نزاع بينهم وبين هؤلاء الدخلاء ويرفضون أشد الرفض أى حل يقوم على أى شكل من أشكال التقسيم ونشوء كيان قومى خالص لليهود فى أى جزء من أجزاء وطنهم العربى .

٣٣) إن القضية العربية فى فلسطين قضية قومية يسيطة عادله ديموقراطية

الحكومة البريطانية نفسها تدرك هذا ، ولو متأخرة ، فتقرر فى كتابها الأبيض لسنة ١٩٢٩ وقف الهجرة وقفا تاما . وثانيا ـ أنها مع اعترافها أن صلة اليهود بفلسطين تاريخية قديمة وأن العرب هم أصحابها ، وأنهم الأكثرية العظمى فيها إلى الآن ، ساوت فى الموقف بين اليهود والعرب ، فوصت بالقضاء على دعوى الفريقين على السواء ، بأن فلسطين لهم وحدهم وبألا تكون فلسطين دولة عربية ولا دولة يهودية ، بل دولة يتسنى فيها التوفيق بين الأمانى الوطنية المشروعة لكل من اليهود والعرب وأنه لايجوز أن تكون الكلمة العليا فى هذه الدولة للاغلبية العددية . فأباحت لنفسها تضحية أصحاب البلاد والأكثرية فيها فى سبيل أقلية دخيلة محشودة من مختلف الجنسيات بالقوة وثالثاً ـ عالجت الموقف من الناحية الدينية بالنسبة للعرب واليهود والمسيحيين مع ما فى ذلك من مغالطة بارزة . فصلة العرب بفلسطين ليست دينية فحسب وانماهى وطنهم الذى يعيشون فيه منذ القرون الطويلة سواء فى ذلك المسلمون والمسيحيون وهذا بعكس اليهود ، ولا يستطيع منصف أن يساوى فى هذا بين العرب وغيرهم : كما لا يستطيع منصف أن يدعى أن علاقة دينية ما ببلد تبرر أن يحرم أهلهـــا من حقهم فى حريتهم وطمأنينتهم واستقلالهم . ورابعا وصت بابطال القوانين التى تحدد وتنظم انتقالات الأراضى لليهود استجابة لرغبات اليهود ولم تراع ما حل بالعرب من جراء اباحة انتقال أراضيهم لليهود من شر وضيق واضطراب وتشرد . وما من شأنه أن يزيد فى ضررهم فى المستقبل ، مما جعل الحكومة البريطانية تدرك ذلك . ولو متأخرة ، فتتخذ بعض التدابير التشريعية التى لم تأت كافية .

٥٦

معنى شذوذ تقرير اللجنة

وليس من الغلو أن يقال . وقد جاء تقرير اللجنة على هذا الوجه ، من انكار صريح لمبادىء الديمقراطية والحقائق القائمة فى هذا السكون واستجابة تامة لرغبات اليهود واجحاف بعيد المدى لمركز العرب ومستقبلهم . أن تشكيل هذه اللجنة لم يكن إلا عملا تمثيليا أريد به التعمية والخديعة وخدمة مآرب اليهود وأنصارهم فى أمريكا وانجلترا . وقد كان لهذا التقرير رد فعل استنكارى شديد فى فلسطين والبلاد العربية ، رؤسائها وحكوماتها وهيآتها وعامتها على السواء ، حيث قدمت الاحتجاجات الدامغة ، وكررت اعلان تصميم العرب على عدم تزلزلهم عن ميثاقهم باستقلال فلسطين والغاء الانتداب ومنع الهجرة اليهودية وانتقال الأراضى العربية لليهود .

٥٧

مجلس جامعة الدول العربية ومفاوضة بريطانيا

ثم رأى مجلس جامعة الدول العربية المؤلف من دول مصر واليمن والمملكة العربية السعودية والعراق وسوريا ولبنان وشرق الأردن وعرب فلسطين أن أمر قضية فلسطين قد طال وأنه ما زال يرتكس فى التعقيد والمراوغات وأنه آن أوان الحسم فيه ، ووضع نصاب الحق فى موضعه فيه وإيقاف هذه المؤمرات ضد فلسطين عند حدها ، فقرر مطالبة بريطانيا بالمفاوضة لحل هذا النزاع على أساس الحق والعدل اللذين يسندان حق العرب فى الاستقلال

والسيادة فى وطنهم الشرعى ومنع الهجرة اليهودية وانتقال الأراضى العربية لليهود ورفض أى حل يقوم على أى شكل من أشكال التقسيم وقيام كيان يهودى خاص فى فلسطين حتى إذا تعذر الاتفاق رفع الأمر إلى هيئة الأمم المتحدة وفاقا لنصوص ميثاقها الذى يقضى بألا يرفع اليها من المسائل إلا ما يتعذر حله مباشرة وحلا سلميا . ووافقت الحكومة البريطانية على عقد مؤتمر بينها وبين ممثلى حكومات الجامعة العربية المشار اليها ، واجتمع المؤتمر فى دورتين أحداهما فى خريف ١٩٤٦ وثانيتهما فى شتاء ١٩٤٧ وقدمت الحكومة البريطانية مشروعا تقسيميا اتحاديا يبقى باب الهجرة اليهودية مفتوحا والانتداب الانجليزى مستمرا فرفضه العرب بطبيعة الحال ، وقدم وفودهم مشروعا يقوم على أساس استقلال فلسطين والغاء الانتداب ويشترك فى بنيانه العرب واليهود المتجنسون بالجنسية الفلسطينية بصورة شرعية بنسبة عددهم ويتضمن دستوره الضمانات الوافية الدينية والمدنية للاقليات والاماكن المقدسة حسب أحسن الاشكال على أن توقف الهجرة اليهودية وانتقال الاراضى العربية لليهود ومع أن المنطق يقضى على الحكومة البريطانيه الموافقة على هذا المشروع الذى ينسجم مبدئيا مع مشروعها الذى ذكرته فى كتابها الأبيض لسنة ١٩٣٩ فانها لم توافق عليه وتنصلت من العهد الذى ارتبطت به الحكومة السابقة ثم عرضت على العرب مشروعا آخر بأن يقبلوا الهجرة لمائة الف يهودى فى سنتين مع استمرار الهجرة حسب قوة الاستيعاب ورأى حكومة فلسطين على أن تصبح فلسطين مستقلة بعد خمس سنوات بشرط اتفاق العرب واليهود على الدستور فرفض العرب بطبيعة الحال هذا المشروع ، لأن الأمر الإيجابى فيه هو تدفق الهجرة أما الاستقلال فهو وعد موقوف على موافقة

اليهود، والتراجع عنه مؤكد سلفا قياسا على ما كان من الحكومة ، وعندئذ أعلنت الحكومة البريطانية أنها ستضع القضية بحذافيرها أمام هيئة الامم المتحدة ومما قاله وزير خارجيتها حينما أعلن ذلك أمام البرلمان « إن بريطانيا فشلت فى تطبيق الانتداب لما احتواه من التزامات متعارضة »

١٩

القضية أمام هيئة الامم المتحدة وأمل العرب

ومع ما يساور العرب من ريب فى اخلاص بريطانيا فى حيادها الموعود عند عرض القضية أمام هيئة الأمم المتحدة لاسيما والمطامع الاستعمارية هى التى أوحت لها بخلق هذه المشكلة وتعقيدها ومع خوف العرب من من تأثير المنظمات الصهيونية فى بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكيه ، ونفوذ دعايتها المضللة وأساليبها المتنوعه المريبه فانهم رحبوا باعلان بريطانيا هذا أملا بأن الحق والحقيقة والعدل والمنطق والمبادىء الديموقراطية لن يعدموا أنصارا وبأن لاتتمكن بريطانيا واليهود هذه المرة من خديعة الأمم كما فعلوا فى المرة الأولى ، وبأن يتمكن العرب من بسط مأساة فلسطين أمامها ونيل مؤازرتها فى الحيلولة دون استمرار هذه المأساة المفجعة المملوءة بالدماء والقلاقل والاضطرابات من أجل تجربة شاذة مستحيلة التحقيق فى هذا البلد العربى المحاط ببلاد العرب ؛ والذى يقدسه جميع العرب والمسلمين ؛ ونيل حقهم الطبيعى المشروع المنسجم مع مبادىء الحق والعدل والديموقراطيه وهو استقلالهم فى وطنهم ؛ وعدم ارغامهم على قبول هجرة غريبة تستهدف مكاثرتهم وحرمانهم من ذلك الحق وتضحيتهم فى سبيل هدف شاذ يراد تنفيذه

بالقوة ، لاسيما وقد اعترفت بريطانيا التى نكبت فلسطين بهذه النكبة بفشلها فى تطبيق هذا الانتداب وتعارض أحكامه .

٥٩

خلاصة العرض

إلى هنا ينتهى هذا العرض الموجز لهذه القضية التى انتقلت اليوم إلى هيئة الأمم المتحدة والتى لم يسبق لها مثيل فى بواعثها وظروفها وسيرها ، ويمكن تلخيصها فيما يلى :

١) إن فلسطين بلد عربى منذ ثلاثة عشر قرنا .

٢) أن العرب ثاروا على الأتراك تحت لواء الشريف حسين وحاربوا فى صفوف الحلفاء فى الحرب العالمية الأولى فى سبيل نيل استقلالهم ووحدتهم وكان عرب فلسطين فى جملتهم .

٣) إن بريطانيا وعدتهم بتحقيق هدفهم هذا باسم الحلفاء .

٤) إن هدفهم هذا حق طبيعى لهم أيدته المبادىء التى نادى بها الحلفاء وأكدها الرئيس ويلسون وميثاق عصبة الأمم .

٥) أن الحلفاء غدروا بالعرب فلم يفوا بوعدهم وفرضوا على بلادهم نظام الانتداب الذى قام مع ذلك على أساس الاعتراف بحقهم فى الاستقلال ومصيرهم اليه .

٦) أن هذا الأساس قد طبق على سورية ولبنان والعراق وقد انتهى الانتداب عنها ، وهى الآن متمتعة باستقلالها وسيادتها .

٧) إن فلسطين داخلة فى مدى المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الأمم ولكنها

حرمت مما تمتعت به مثيلاتها .

٨) ان سبب الحرمان هو تصريح بلفور الذى صدر من بريطانيا لليهود بانشاء وطن قومى لهم فى فلسطين ، وكان أهم باعث عليه مطامعها الاستعمارية فى فلسطين .

٩) بالرغم من أنه لا حق لبريطانيا بما وعدت به ، ونكثها بعهدها مع العرب . فقد استطاعت بالتآمر مع اليهود اقحام التصريح فى صك الانتداب على فلسطين .

١٠) ان صك الانتداب حمل بريطانيا مهمة تسهيل انشاء الوطن القومى اليهودى .

١١) ان صك الانتداب وتصريح بلفور اشترطا أن لا يكون حيف على أهل فلسطين ومركزهم من جراء انشاء ذلك الوطن .

١٢)لقد كان الصك والتصريح يحتويان التزامين متعارضين . ولكن الحكومة البريطانية اندفعت فى القيام بالتزامها لليهود فالحقت بحقوق العرب ومركزهم أكبر الأضرار .

١٣) ان اليهود غذوا ، وما زالو يغذون ، حركتهم بدعاية مضللة بما يملكونه من وسائل بارعة وقوية فى مختلف انحاء العالم .

١٤) ان اليهود بنوا حركتهم على صلتهم التاريخية بفلسطين وخدعوا بها الأمم مع أن هذه الصلة منبته منذ الفى سنة .

١٥) انهم ادعوا أن فلسطين مهجورة مقفرة مع أنها مكتظة بالعرب وهم أصحابها ، وفى درجه من الرقى الاجتماعى والثقافى والعمرانى لا تقل عن أحسن البلاد فى الشرق الأدنى والأوسط .

١٦) ان الباعث على حركتهم هو ما لقيه اليهود فى أوربا الشرقية خاصة

من اضطهاد لا يد للعرب فيه ، فليس من الحق أن يحملوا تبعته .

١٧) إن فلسطين لا يمكن أن تحل ما يسمى بالمشكلة اليهودية .

١٨) لقد انهدم الباعث على اضطهاد اليهود بعد انتصار الديموقراطيات وصار فى مقدور دولها أن تضمن لليهود أمنا وطمأنينة فى بلادهم .

١٩) أن فى أمريكا واستراليا وأفريقيا وجزر الباسفيك الواسعة الغنية المقفرة وغيرها متسعا لليهود إذا أرادوا أن ينشئوا لهم كيانا .

٢٠) ليس اليهود اليوم شعبا ولا قوما ، وإنما هم نحلة دينية — ومحاولتهم شاذه لأنها ترمى إلى جمع مختلف الجنسيات والأهواء فى وطن واحد على أساس الدين .

٢١) أن اليهود فى موقفهم فى فلسطين يماثلون النازية ويناوئون الديمقراطية لأنهم يريدون فرض أقليتهم على الأكثرية العربية وارغام العرب على التخلى عن وطنهم لهم وقبول هجرتهم اليه .

٢٢) لقد استطاع اليهود بنفوذهم واغرائهم وقواهم الانتخابية أن يحصلوا على تأييد أوساط مهمة فى أمريكا وبريطانيا لمطالبهم وأساليبهم ومواقفهم الشاذة رغم مخالفتها لمبادىء الديموقراطية.

٢٣) لن يكتب للهدف اليهودى فى فلسطين أى نجاح سياسيا واقتصاديا لاعتبارات وجيهة سياسية واقتصادية واجتماعية وجغرافية .

٢٤) إن العرب والمسلمين فى الشرق الأدنى والأوسط لن ينوا فى النضال ضد ذلك الهدف وضد مؤيديه مهما طال الزمن ـ وسيتطور هذا النضال تطورا خطيرا .

٢٥) إن هذه الحركة هى بذرة شر وفتنة وقلاقل ودسائس مستمرة فى هذين الشرقين .

٢٦) إن هذه الحركة ستنقل جرثومة اللاسامية إلى هذين الشرقيين .

٢٧) لقد استنكر العرب فى فلسطين وغيرها هذه الخطة منذ الأصل وكانت الحكومة البريطانية تكابر وتستمر فى محاباتها لليهود والتنقص من حقوق العرب بالقوة ، فكان هذا مما دعى إلى تكرر الاضطرابات العربية .

٢٨) أرسلت الحكومة البريطانية لجان تحقيق عديدة وأذاعت كتبا بيضاء واعدة بتصحيح خطئها ولكنها لم تنفذ ما كان فى صالح العرب من نواص وعهود .

٢٩) فى سنة ١٩٣٩ اعترفت بأخطائها وتناقض التزاماتها وقيامها بواجبها نحو اليهور وقررت أنها ستمنح فلسطين استقلالها وتلغى عنها انتدابها وتوقف الهجره اليهودية اليها ولكنها لم تتقدم خطوة ما لتنفيذ ذلك .

٣٠) فى سنة ١٩٤٦ قدم العرب فى مؤتمر رسمى دعت اليه الحكومة البريطانية مشروعا على أساس ما أعلنته الحكومة المذكورة فى سنة ١٩٣٩ فرفضته فى هذه المرة .

٣١) لقد كان استمرار الإرهاب اليهودى نتيجة لتساهل الحكومة البريطانية .

٣٢) إن العرب يأبون والحق يعضدهم أن ينظر إلى قضية فلسطين على أساس التسوية بينهم وبين اليهود الدخلاء وأن تعتبر قضيتهم قضية نزاع بينهم وبين هؤلاء الدخلاء ويرفضون أشد الرفض أى حل يقوم على أى شكل من أشكال التقسيم ونشوء كيان قومى خالص لليهود فى أى جزء من أجزاء وطنهم العربى .

٣٣) إن القضية العربية فى فلسطين قضية قومية بسيطة عادله ديموقراطية

فيما ترمى اليه من حل متفق مع ميثاق العرب القومى - وهو -

١) وقف الهجرة اليهودية وقفا تاما .

٢) وقف انتقال الأراضى لليهود وقفا تاما .

٣) الغاء الانتداب ووعد بلفور

٤) الاعتراف للعرب بحقهم الشرعى فى وطنهم واستقلالهم فيه أسوة بسائر البلاد العربية على أساس الديموقراطية وحماية حقوق الأقليات وفقا لما تعارفت عليه المبادىء الديموقراطية .



تبين هذه الخريطة حدود الدولة اليهودية كما يراها الصهيونيون، وهى لا تقتصر على أن تصبح فلسطين كلها وطنا بل تشمل أيضا كل بلاد شرق الاردن . أما مجالها الحيوى فيشمل المنطقة المظللة التى تمتد من قناة السويس الى نهر الفرات .

المصور العدد ١١٦٠ فى ٣ - ١ - ١٩٤٧